القطه

للكاتبة الفرنسية كوليت



ترجمة مها محمد حسن

القطة

نشر وتوزيع :

شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة : بغداد

هاتف : ٥٤٣٢٢٢٨

القطة

للكاتبة الفرنسية كوليت

ترجمة مها محمد

بدأت امارات التعب تغزو وجوه افراد العائلة المنهمكين بلعب البوكر ... وكانت كاميل ، ذات التسعة عشر ربيعا ، تحاول التغلب على النعاس بالانتفاضة ، لتستعيد صفاء ذهنها ، لكنها رغم ذلك كانت تتثاءب وتبدو شاحبة الوجه والذقن ، في ما كان خداها يميلان قليلا للون الاسود تحت البودرة الصلصالية ، وتتلألأ قطرتا دمع صغيرتان في زاويتي عينيها .

- كاميل ، ينبغي ان تذهبي الى فراشك !

- في العاشرة ياأمي ، في العاشرة ! من ينام في الساعة العاشرة ؟

كانت كاميل تستنجد بعينيها خطيبها الجالس على اريكته ، وقد غلبه التعب هو الاخر .

ـ دعيها ، فأمامها عشرة ايام من الانتظار ، ومن الطبيعي ان تبدو الحماقة واضحة في تصرفاتها . قال ذلك صوت ام اخرى .

ـ بالضبط . مافائدة ساعة اكثر او اقل ... كاميل ، ينبغي عليك الذهاب لفراشك ، وسنتبعك نحن ايضا ،

ـ سبعة ايام ! صاحت كاميل . واليوم هو الاثنين ! لم الفكر بذلك من قبل .. ألن ، تعال ، ألن !....

رمت عقب سيجارتها في الحديقة ، واشعلت سيجارة جديدة ، ثم شرعت بفرز ومزج اوراق البوكر المبعثرة .

ـ لنر سوية في ما لو استطعنا الحصول على السيارة الصغيرة الرائعة ذات السقف المفتوح قبل موعد حفلة زواجنا ! انتبه ياألن ، لقد اخبرتني بأنها ستكون جاهزة مع الرحلة ومع الحدث المهم ...

ـ مَنْ ؟

ـ السيارة الصغيرة ذات السقف المفتوح ، هه !

ودون ان يرفع رقبته ، ادار ألن رأسه صوب شباك النافذ المفتوحة ، ورائحة السبانخ والعشب الطري الهادئة تتوغل عبرها ، وشجرة صريمة الجدي تحمل هي الاخرى عسل اول ازهارها . وفجأة سمع الجميع اصوات الاقداح الزجاجية التي اعلنت وصول عصير الساعة العاشرة مع الماء البارد الذي يحمله إميل ، الخادم العجوز ، فنهضت كاميل لملء الاقداح وتوزيعها على الحاضرين ، ومن ثم لخطيبها بأبتسامة يشوبها الحب والتفاهم .

نظرت اليه وهو يشرب قدحه ، وفجأة ، شعرت برجفة تسري في اوصالها وبفمها الذي كان يلتهم حافة القدح . لكن ألن ، كان يشعر بأرهاق كبيرَ لدرجة عجز فيها عن مشاركتها مشاعرها ، واكتفى بالضبط الهادىء على اصابعها البيض وأظافرها الحمر وهي تتسلم منه القدح الفارغ .

- هل ستتناول معنا طعام الغذاء غدا ؟

سألته بصوت منخفض .

- اسألي اوراق اللعب .

تراجعت كاميل خطوات الى الخلف ، وأومأت برأسها كالمهرج ، ثم بدأت تنشر الاوراق ، وتتفوه بكلمات غريبة كالساحر ...

كانت كاميل تتحدث بشكل سريع وهي تفرك بظفرها حافات فمها المطلي بلون احمر ، فيما كان ألن يصغي اليها بلا ضجر . كان يعرفها منذ عدة اعوام ويعرف طباعها ومزاجها ، وكيفية قيادتها السريعة والجيدة للمركبة ، والشتائم الجاهزة على فمها ، التي تطلقها على سواق مركبات الاجرة . ويعلم ايضا انها تكذب دون ان يحمر وجهها كالاطفال والمراهقين ، وانها قادرة على خداع ذويها لتذهب معه بعد العشاء الى النوادي الليلية ليرقصا ويشربا عصير البرتقال .

استرجع ألن الاحداث السابقة ، وتذكر اول مرة قبَّلها قبل اعلان خطوبتهما الرسمية ... وردد مع نفسه : «كم هي حسناء سمراء ، لان مقاطيعها متناسقة ، وبريق عينيها يتناسب مع لون شعرها الداكن الشبيه بلون البيانو الجديد ...» لكنه كان يعلم ايضا انها يمكن ان تكون حادة ، ومتناقضة تماما كالنهر الجاري في الجبال .

كانت مستغرقة في الحديث عن المركبة الصغيرة ذات السقف

المفتوح .
ـ كلا يابي ، كلا ! لن اسمح لألن بقيادتها خلال عبورنا سويسرا ! فهو شارد الذهن ، ولايحب القيادة حقا ، وانا اعرفه !

«كانت تعرفني» ، ردد ألن ذلك مع نفسه واضاف : «ربما تعتقد هي ذلك ، وقد قلت لها عدة مرات انني» افهمك جيدا ! «كما تفهمها ساها ايضا . ولكن اين ساها؟» نهض من اريكته ، وبحث عن القطة بين اكتاف الحاضرين ثم خلف المقاعد ، وهبط الدرجات الخارجية الخمس ، وتوجه صوب الحديقة الكبيرة التي كان عطر الزهور يفوح منها .

لم يتغير المنزل منذ ولادة ألن ، وكانت كاميل تقول عنه انه : «منزل ابن وحيد» ، ولاتخفي ازدراءها من سقفه القديم ، ومن شبابيكه العالية المثبتة بالحجر الازرق البسيط . اما الحديقة ، فتبدو وكأنها تحتقر المنزل ، مثل كاميل ، حيث كانت الاشجار الكبيرة والقديمة تتساقط الاغصان السود منها . وكانت تحمي المنزل من الجيران والمتطفلين . وبعيدا عن الحديقة ، اي في فناء احدى المدارس توجد اشجار الدرداء مبعثرة هنا وهناك ، بعد ان تعرضت لعمليات قص ، اثر تشييد حي نيبي .
ـ اين انت ياألن ؟

كانت كاميل تنادي عليه من اعلى درجات السلم ، لكنه ابى اجابتها ، وتوغل في الظلام ، سائرا على الارض الخضراء .

كان القمر يستقر في كبد السماء ، وقد غلفته كتلة من ضباب الايام الاولى الدافئة ، وشجرة الحَور ، تجمع ضياء القمر وتقطره كالشلال . وفجأة اندفعت كتلة فضية اللون ، وارتمت ، كالسمكة ، بين قدمي ألن .
ـ آه ! انها انت ياساها ! اين كنت ، لقد بحثت عنك ، لَمَ لم

تتناولي معنا طعام العشاء هذا المساء ؟
- م - رووان ، اجابته القطة ، م - رووان ....
- كيف م - رووان ؟ ولماذا م - رووان ؟ اهذه طريقة للكلام ؟
- م - رووان ، م - رووان ، كررت ذلك القطة .... وبحنان ، بدأ ألن يداعب القطة ، ويربت على امتداد عمودها الفقري ، الاكثر رقة من جلد الارنب ، ثم امسك بمنخريها الصغيرين والطريين المتمددين بفعل المواء ، وردد مع نفسه قائلا : «انها قطتي ... قطتي» .

ومن جديد ، وصل اسماعه نداء جديد من كاميل ، فأسرعت ساها لتختفي خلف سياج من اشجار المضاض المقطعة ، بلونها الاخضر المائل الى السواد كلون الليل .
- الن ! سنذهب ! ...

توجه صوب درجات السلم راكضا ، فاستقبلته كاميل بأبتسامة عذبة وصاحت قائلة :
- ارى شعرك يركض معك ، وكم هو امر رائع ان تكون اشقر لهذه الدرجة !

زاد ألن سرعة في عدوه ، وبقفزة واحدة ، عبر الدرجات الخمس ، ووجد كاميل تقف وحيدة في الصالون .
- اين الاخرون ؟ سألها بصوت منخفض .
- في غرفة الثياب .

لو كنا اكثر ذكاء ، لاحتفظنا بشقة باتريك الصغيرة ، وسأتولى انا هذا الامر .
- لكن باتريك لم يترك شقته الا ليظهر لطفه تجاهك ....
- طبعا سأفيد من ذلك !

تألقت بشرتها بابتسامة انثوية عذبة لم يألفها ألن من قبل

وقد استاء من لهجتها ، وترفع في الوقت ذاته عن لومها .. لكنها تداركت الموقف سريعا وقالت :

ـ سأعتاد سريعا على التحدث والقول سنستفيد كلانا .. بدلا من ان تكون الفائدة لي وحدي .

وبطريقة ذكية ، حاولت كاميل تحفيزه لتقبيلها فأطفأت المصباح السقفي . وكان المصباح الوحيد الموضوع فوق المنضدة ، يعكس خلف الفتاة الشابة ظلا واضحا وطويلا .

رفعت ذراعيها وقاطعتهما خلف رقبتها ، ونادته بعينيها ، لكنه لم يتطلع الا لظلها ، وبقي يردد مع نفسه : «يالروعة جمالها على الجدار ! انها تبدو متمددة تماما ، كما كنت اتمناها ان تكون ....» .

جلس ليجري مقارنة بينهما ، فأحسّت كاميل بذلك وشعرت بالزهو ، ثم انحنت ، وابرزت نهديها الى الامام ، لكن الظلال كانت تتقن هذه اللعبة بشكل افضل منها . سارت كاميل مرخية الذراعين ، مسبوقة بظلها كاملا ، وما ان وصلت الى شباك النافذة المفتوحة ، حتى قفز الظل جانبا ، وهرب الى الحديقة ليستقر فوق الحصى الوردي لاحد الممرات ، وليعانق خلال طريقه بيديه الطويلتين ، شجرة الحور المغطاة بقطرات ضوء القمر ... فتنهد ألن بصمت ، وردد مع نفسه «شيء فظيع ..» ، ثم لام نفسه لتعلقه بظل كاميل الساكن والخالي من العيوب الذي كان يثير في ذاكرته ساعات وثيابا ..

ـ ماذا دهاك هذا المساء ؟ تعال وساعدني على الاقل في ارتداء معطفي ... تأثر ألن مما تحمل كلمة «على الاقل» من معنى خفي ، وكذلك لان كاميل بمرورها امام غرفة الثياب ، كانت قد حركت كتفيها بشكل غير محسوس .. لم تكن كاميل بحاجة لتحريك كتفيها فالطبيعة والعادة تضطلعان بهذه المهمة ، وهي

عندما لاتظهر اهتماما ، فأن رقبتها تبديها بدينة نوعا ما .
وجدا والدة ألن ووالدي كاميل في غرفة الثياب يراوحون بأقدامهم لتدفئتها فوق السجادة ، تاركين فوقها ، بصمات بلون الثلج المتسخ ، فيما كانت القطة تجلس فوق الحافة الخارجية للنافذة ، وتتطلع اليهم بأنزعاج يخلو من الوحشية . اما ألن فكان يجاهد للاحتفاظ بصبره وهو يستمع الى الحديث الشعائري المتشائم .

ـ الن يكمل البناء ؟
ـ لن يكمل قبل ثمانية ايام ...
ـ لو طلبت رأيي ياعزيزتي ، فأنني اقول، بأن عشهما ، لن يكتمل قبل شهر او شهرين ، وليس قبل خمسة عشر يوما .
حال سماعها لكلمة «العش» انخرطت كاميل في هذه المعركة الهادئة بشكل حاد لدرجة اغلق فيها كل من ألن وساها عيونهم .
ـ معذرة ياأمي ، فقد اتخذنا القرار بالبقاء في شقة باتريك الصغيرة ، ونحن مقتنعون بذلك ، علما بأن قرارنا هذا سيفيد باتريك ماديا ... وماعلينا الا اعداد حقائبنا ، وهُب ! إلى عرض السماء في الطابق التاسع ! اليس كذلك ياألن ؟
فتح عينيه ، وابتسم بغموض ، ثم وضع معطفها فاتح اللون فوق كتفيها . وتطلع الى المرآة امامه ، فألتقت عيناه بعيني كاميل السوداوين ، المليئتين بالعتاب ، وتذكر : «لم اقبلها من فمها عندما بقينا وحيدين في الصالون . حسنا ! كلا ، لم اقبلها من فمها ، هناك ! وهي لم تنل حصتها من القبل الكافية هذا اليوم ، لكنها تسلمت فقط قبلة الساعة الثانية عشرة الا ربعا في طريق الغابة ، والساعة السادسة والنصف عندما كنا في الحديقة ، اي انها لم تتلق حصتها في هذا المساء . حسنا ! ما عليها الا تسجيلها في حسابها كدين في ذمتي ... ولكن ، ماذا

دماني ؟ اشعر برغبة جنونية للنوم . هذه الحياة الحمقاء ، نحن لانرى انفسنا فيها بشكل صحيح . سأذهب يوم الاثنين الى المخزن و ....» .

وصلت انفاسه صوب قطع الحرير الجديدة ، لكن ابتسامة السيد فيليه الغامضة ، بدت له كما في الحلم ، وسمع الحديث الذي لم يكن قد تعلمه من قبل بالرغم من بلوغه الرابعة والعشرين .

«كلا ياصديقي ، هل تعتقد ان الآلة الحاسبة الجديدة التي تصل كلفتها سبعة عشر الف فرنك يمكن ان تغطي كلفتها خلال عام ؟ انني اعرف كل شيء ، فأسمح لأقدم شريكا لوالدك المسكين ان ....» ومن جديد ، التقت عيناه في المرآة ، بالنظرات الحقود لكاميل ، بالعينين السوداوين اللتين كانتا تترصدانه ، فما كان منه الا احاطة كاميل بذراعيه .

- ماهذا ياألن ؟

- اوه ! ياعزيزي ، دع هؤلاء الاطفال المساكين .... احمر وجه كاميل ، وابتعدت عن ألن ، ثم مدت له خدها برقة صبيانية وأخوية لدرجة احنى ألن رأسه فيها على كتفه وردد مع نفسه : «انام ، انام .. آه ! ياألهي ، أرغب في النوم .. في النوم ..» .

ومن الحديقة ، وصلت اسماعه صوت القطة .

- م - رووان .. ررر - رووان .

- انصت لصوت القطة ! لابد انها في حالة صيد ، قالت كاميل ذلك بهدوء . ساها ! ساها ! صمتت القطة .

- في حالة صيد ؟ اعترض عليها ألن . كيف ذلك ؟ ونحن الان في شهر مايس ، ثم انها تقول : «م - رووان !»

- وماذا يعني ؟

انها لاتقول م - رووان عندما تصطاد فريستها ! وماتقوله

هناك ليس سوى تنبيه وصوت لتجمع فيه صغارها .
ـ ياالهي ، صاحت بذلك كاميل وهي ترفع ذراعيها وأضافت : لو بدأ ألن بترجمة اصوات القطة ، فلن ننتهي ابدا !

نزلت درجات السلم قافزة ، في الوقت الذي اضاءت فيه يدا اميل المرتجفتان مصباحين في الحديقة .

كان ألن يسير مع كاميل في المقدمة ، وحالما وصلا السياج الخارجي ، قبلها خلف اذنها ، واستنشق العطر الذي كانت قد وضعته ، رائحة الخبز والوبر ، ثم ضغط على كتفيها العاريين داخل المعطف . وما ان جلست امام مقود المركبة ، واستقل والداها المقعد الخلفي ، حتى شعر ألن باليقظة والفرح .
ـ ساها ! ساها !

انبثقت القطة من الظلام ، ثم شاركته الركض وسبقته في الوصول الى الصالون ، لكنها سارت بضع خطوات ، وانتظرته اعلى درجات السلم وكانت تنظر اليه وهو يسرع ، وتتحداه بعينيها الصفراوين المرتابتين ، الفخورتين بنفسهما .
ـ ساها! ساها !

وما ان سمعت صوت اسمها ، حتى شعرت بالغبطة الجنونية ، فبدأت بتحريك ذيلها ، وقفزت وسط منضدة البوكر ، وشرعت ببعثرة اوراق اللعب بيديها الصغيرتين .
ـ هذه القطة ، هذه القطة ... لاتمتلك اي مفهوم للضيافة ، انظر اليها ، ولسعادتها التي بدت عليها حال مغادرة اصدقائنا المنزل . قالت ذلك والدة ألن ، عند ذاك ، ضحك ألن ملء شدقيه ، ضحكة طفولية لم يكن يطلقها الا في المنزل ، او امام بعض اصدقائه المقربين ... ثم تثاءب بقوة .
ـ ياالهي ، كم تبدو عليك امارات التعب يابني ! ولكن ، كيف يمكن ذلك في الوقت الذي تشعر فيه بالسعادة ؟ لقد بقي المزيد

من شراب البرتقال ، اليس كذلك ! حسنا ، سنصعد ... وندع اميل يطفىء الانوار .

«تتحدث امي معي وكأنني قد شفيت لتوي من احد الامراض ، او اصبت بالباراتيفوئيد ...»

- ساها ! ساها ! يالها من شيطانة ! ألن ، اعتقد انك لا تنال من هذه القطة ..

وبطريق عمودي تعرفه جيدا ، وتميزه من خلال المرمر الملون ، ارتفعت ساها فوق الجدار وكادت تلامس السقف ، ثم ثبتت نفسها فوقه وباعدت قديمها كالسحلية ، وكادت تسقط بعد شعورها بالدوار ، فاطلقت صرخة مميزة ... وبهدوء بالغ ، تقدم ألن ووقف اسفلها ، ثم قدم كتفيه لها ، فنزلت وهي تلتصق بالجدار كقطرة مطر تهبط على امتداد زجاجة النافذة ، ثم ارتكزت فوق كتف ألن ودخلا سوية غرفة النوم .. عندما اشعل المصباح السقفي والمنضدي ، تغير لون العنقود الاسود المتدلي من احد الاشجار المنتصبة امام شباك النافذة المفتوحة ، ليصبح لونه اصفر فاتحا .. فانزل ألن ساها بهدوء فوق السرير وهو يحني كتفه ، وبدأ يراوح ذهابا وايابا بين غرفته والحمام ، كشخص حال التعب بينه وبين النوم .

ومن النافذة ، أحنى رأسه ليتطلع الى الكتلة البيضاء «لاعمال البناء» غير المنتهية ، ثم عاد ليفتح خزانات العلب التي تغفو اسراره فيها ، وتتضمن دولارا ذهبيا ، خاتما يحمل حروف اسمه ، حلية من العقيق مرتبطة بسلسلة ساعة الية عدة حبوب حمراء وسوداء اللون من نبات عشبي اجنبي ، مسبحة من الصدف ، سوارا صغيرا مقطوعا ، وهو ذكرى من صديقة قديمة كان قد تعرف عليها ... اما المتبقي من كنوزه ، فلم يكن يتعدى الكتب الموشاة والمجلدة بأناقة ، اضافة الى بعض

الرسائل والصور الفوتغرافية ... وبسعادة هادئة ، كان ألن يتلمس ذلك الحطام الصغير اللامع الذي يخلو من القيمة ، تماما كأكوام حجارة ملونة من التي يتم العثور عليها في اعشاش الطيور الناهبة ، ثم تساءل مع نفسه : «ينبغي عليّ التخلص من هذه الاشياء كافة ... او هل ابقيها هنا .... لن احتفظ بها ... هل احتفظ بها ؟

.... «كانت طبيعته كولد وحيد في المنزل ، تجعله يرتبط بالاشياء التي لم يفرقها او يوزعها لاحد من قبل .

لمع لوجهه في المرآة واحس بنوع من السخط تجاه نفسه فردد مبتسما للشاب الاشقر الجميل الماثل امامه : لم لاتنم ، انك منهك القوى ، وعليك ان تشعر بالخجل» . «اعتقد ان الاخرين لايجدونني جميلا الا لشقرتي . لو كنت اسمر ، لبدوت قبيحا جدا .

ثم بدأ ينتقد من جديد انفه الشبيه بالحصان وخُده الطويل ، ومع ذلك ، ابتسم ليظهر اسنانه ، ومرر يده فوق المفرق الطبيعي لشعره الاشقر الكثيف ، وشعر بالرضا من لون عينيه الرماديتين المائلتين للخضرة ، والمحاطتين بأهداف غامقة . كان شارباه الخشنان اللذان يحلقهما صباحا ، يضفيان مسحة من السعة على شفته . «اي فم هذا ! انني اثير الشفقة ، كلا ، انني اشعر بالتقزز من نفسي ولكن ، كيف يمكن ان يكون ذلك وجه شخص يتأهب للزواج ؟....» وهناك .... انتبه لساها وهي تحدق بوقار في وجهه من بعيد .

- انني قادم ، قادم ،

رمى نفسه فوق الشراشف الطرية دون ان يلحق الأذى بساها ، ثم بدأ يكرر بعض الاوصاف الطويلة التي تتناسب مع لون القطة الرمادي ، وحجمها الصغير والجميل :

- يادبي الصغير ذا الخدين الكبيرين ... ايتها القطة الرقيقة الرقيقة ... ياحمامتي الزرقاء ... ياشيطانة بلون اللؤلؤ ...

وما ان اطفأ الانوار ، حتى شرعت القطة بالقفز على صدر صديقها ، واللعب به ، ثاقبة بمخالبها ، حرير بجامته ، لتصل الى بشرته ، لكن ألن كان يشعر بسعادة يشوبها القلق ... فتنهد بعد برهة وقال : - لم يتبق سوى سبعة ايام ياساها . فبعد سبعة ايام ، وسبع ليال ، سأبدأ حياة جديدة ، في منزل جديد ، مع حبيبة جديدة جامحة ... وبدأ يتلمس برقة شعر القطة الساخن ، ويستنشق عبير الخشب المقطوع ، واشجار الزينة والعشب الاخضر ... أما هي فكانت تموء بصوت عال ، وتقبله في الظلام قبلة قطية واضعة انفها الرطب ،، للحظة ، تحت انف ألن ، بين المنخرين والشفة .

- آه ، ساها ، سأفتقدك ...

ثقبت المصابيح الامامية لاحدى المركبات المارة في الشارع القريب ، اوراق الاشجار بشعاعين ابيضين دوارين . فمرت الظلال المكبرة لشجرة حور وحيدة فوق جدار الغرفة ، فرأى ألن بذلك وجه ساها الغافية فوق وجهه ، بعينيها الجامدتين .

- لاتثيري خوفي ! توسل اليها

كان ألن في حمى نعاسه يشعر بالخوف ، لانه يغدو ضعيفا ، حالما ، واقعا بتمهل في شراك مراهقة هادئة وغير متناهية .. فاغلق عينيه ، وكان يحلم بغزارة ، ويهبط في احلامه عبر درجات . لكنه يأبى حال استيقاظه . ان يقص مغامراته الليلية ، لانه يشعر بالغيرة من ميدان كان قد عمل على تكبير طفولة هادئة وغير موجهة التوجيه المناسب وفتره صبا طويلة ورقيقة .

كان يحب احلامه ويهذبها ، محاولا ان لايخطىء المحطة التي

تنتظره المحطة الاولى يسمع فيها إصوات تنبيه المركبات المارة في الشارع القريب ويلتقي بوجوه دوارة ومنبسطة ، مألوفة ومشوهة . لكنه كان يتجاوزها كما يتجاوز في طريقه حشدا مألوفا له .

ولكنها تبدأ بالدوران ، والتحدب مقتربة من ألن في الوقت الذي يتزايد فيه حجمها ، وتقل حدة لونها الفاتح ، وكأنها تتلقى الضوء من ألن وهو النائم . وبما انها كانت مزودة بعين كبيرة ، فأنها تدور بحرية ، لكن ثمة حركة دائرية منبثقة من داخل البحر ، كانت تدفعها بعيدا كلما لامست حاجزا غير مرئي .

كان ألن يفهم ، في نظرة الوحش الدائري الرطبة ، وفي حدقة قمر بدين او رئيس ملائكة تائهة ، ذو شعر من الشعاعات . التعبير والنية ذاتها ، لانه لم يكن احد منهم قد فسره من قبل ، ولكن ألن كان يمني نفسه في حلمه بأطمئنان : «سيخبرونني غدا» .

وفي بعض الاحيان ، كانت تلك الوجوه تتلاشى بالتفجر ، وتبددً الى بقايا ضعيفة الاضاءة ، فيما تختفي في احيان اخرى ، ليظهر منها كف ، ذراع جبهة ، كرة مليئة بالافكار ، ورماد كوكبي من الانوف والذقون ، دون ان تختفي منها تلك العين المنتفخة التي كانت تدور ، ولايظهر منها اكثر من جانبها الاسود .....

استغرق ألن بنومه اليومي ، تحت حراسة ساها ، واجتاز عالم الوجوه المحدبة والعيون ، وهبط من خلال منطقة السواد الى الحدود التي احتلها في الحلم المكتمل . فأصطدم بحد محدثا بذلك ضجة كبيرة ، ثم انطلق في مدينة الحلم بين المارة ، والسكان الواقفين على أعتاب منازلهم وحراس الحديقة العامة المزينين بالذهب ، والاشخاص الاخرين الواقفين قرب طريق سير

ألن الذي كان عاريا يحمل بيده خيزرانة ويتساءل مع نفسه : «لو سرت قليلا ، بعد تشكيل ربطة عنقي بطريقة خاصة ، وصفرت ، لازدادت الفرصة في عدم رؤية الاخرين لجسمي العاري» . ثم وضع شكل ربطة عنقه على شكل قلب وصفر . «ان ما افعله الان لايعتبر صفيرا بل مواء ايضا . لم تنفع بعد جميع وسائلي ، ويتحتم عليَّ عبور هذا المكان المليىء بالشمس والالتفاف حول الكشك الذي تعزف فيه الموسيقى العسكرية . ياله من لعب طفولي . انطلقت قافزا لاجلب الانتباه ، ثم نزلت في منطقة الظل ...» .

لكنه شعر بالذعر من النظرة الساخنة والخطرة لمخلوق اسمر ، بعيني سمكة شبوط ثاقبتين ، فصاح : «منطقة الظل .. منطقة الظل ..» عند ذاك ، تقدم ذراعان طويلان من ظل أوراق شجرة الحور حملا ألن ليرتاح خلال الساعة الاكثر غموضاً من الليل القصير ، في هذا القبر المؤقت الذي يتنهد فيه ألن المبعد ، والمبلل بفعل الدموع ، والذي يموت ويحيا بلا ذاكرة مع انفلاق فجر اليوم التالي .

● ● ●

عندما استيقظ ألن من نومه ، كانت الشمس تحاذي النافذة ، وكان العنقود الاصفر لاحدى الاشجار ، يتدلى فوق رأس ساها ، البريئة الزرقاء ، المنهمكة في تزيين نفسها .

ـ ساها !

ـ م ـ ررانغ ! اجابته القطة بصوت عال

ـ هل هو ذنبي ان تكوني جائعة ؟ واذا كنت كذلك ، وفي عجلة من امرك ، فما عليك الا النزول الى المطبخ وطلب وجبة الحليب .

هذا صوتها حال سماعها صوت ألن ، وكررت كلامها نفسه وهي تظهر فمها الاحمر ، الموشى بأنياب بيض . ولكن سرعان ماخطر في بال ألن خاطر مهم فصرخ :

«يا الهي .. هذه القطة .. ماذا أفعل بهذه القطة .. لقد نسيت أنني سأتزوج ، وينبغي عليَّ السكن في شقة باتريك .. ثم استدار صوب الصورة الزيتية المؤطرة بالفولاذ والكروم التي كانت كاميل تلتمع داخلها بعينيها السوداوين اللامعتين تحت سياج من الاهداب فتمتم قائلا :

ـ عمل جميل لرسام محترف .

لم ينس ابدا انه كان قد اختار لغرفته ، هذه الصورة التي لم تكن تشبه كاميل ولا اي شخص آخر .. «هذه العين .. لقد رأيت هذه العين ...» ثم امسك بقلم رصاص ، ورسم خطا يحاذي العين ، وخفف من حدة البياض ، لكنه لم يفلح الا بأتلاف العمل .

ـ مويك مويك مويك ... ما .. آ . آ . آ . ما .. آ . أ . آ . آ .

قالت ساها ذلك وهي تركز بصرها على فراشة تقبع بين زجاج النافذة وقماش الستارة الشفاف .

كان ذقنها يرتجف ، وكانت تتمتم بطمع ، فأسرع ألن والتقط الفراشة بين اصبعيه ليقدمها للقطة .

ـ مقبلات قبل الافطار ياساها ! .

بعد ان سمع صوت المشاط وهو يرتب الحصى في الحديقة ، رأى ألن اليد الآلية القوية الناعمة الطائشة التي كانت تتوارى خلف قفاز مطاطي ابيض اللون ...

ـ صباح الخير ياماما ! هتف من بعيد .

اجابه صوت واهن ضعيف لم يكن ألن قادرا على فهم كلماته . كان مجرد تمتمة خالية من المعنى ، لكنها ضرورية

مفعمة بالعاطفة ، فنزل راكضا مع ساها التي تعرف احيانا ، كيفية التحول الى نوع من الكلاب المضطربة ، فنزلت درجات السلم بسرعة ، ووصلت الحديقة بقفزات كبيرة ومجردة من السحر ، وجلست فوق منضدة طعام الافطار الصغيرة ، قرب كرسي ألن . وكان صوت المشاط الذي توقف لفترة ، يواصل عمله ببطء . فسكب ألن كمية من الحليب في صحن ساها ، واضاف اليه رشة من الملح ، واخرى من السكر ، ثم قدمه لها برصانة .

لم يكن ألن يشعر بالخجل من بعض الحركات التي يؤديها وهو يتناول طعام افطاره وحيداً ، لانه يشعر بحاجة لا ارادية وداخلية للعودة الى فترة خاصة من مرحلة طفولته ، تلك التي تنحصر مابين الرابعة والسابعة من عمره ، وهكذا ، فقد كان يغطي حافات الخبز كافة بالزبد ، ويقطب حاجبيه حالما يقل مستوى الحليب والقهوة في قدحه ، عن حد معين . كما ان اول شطيرة كان يتناولها من الزبد والمربى ، ينبغي ان تعقبها شطيرة اكثر خفة من الاولى ، في حين يتوجب ان يحتوي القدح الثاني للحليب بالقهوة على كمية اضافية من السكر ... واخيرا ، ينتظر الصغير ألن ، المختفي خلف شاب جميل أشقر ، وبنفاد صبر ، انتهاء الفطور ليتسنى له لحس ملعقة العسل العاجية القديمة .

«لابد ان كاميل تتناول الان افطارها وهي تسير وتمضغ شريحة من اللحم المضغوط بين قطعتي بسكويت ، ثم تنقل قدح الشاي الخالي من السكر من مكان لاخر ، واخيرا تنساه ...» .

رفع عينيه عن ميدان طفولته المفضل المولع به ، وتطلع الى اشجار الدرداء القديمة المشذبة والى اطراف اوراقها وهي تتحرك بفعل الهواء ، والى زغب القرنفل الوردي وهو يفترش الارض ، ثم الى احدى اجهزة السقي وهي تنتصب فوق ساقها

الوحيد ، وتدور فوق الارض الخضراء ، فاتحة مؤخرتها البيضاء كالطاووس .

«يالها من حديقة جميلة .. جميلة ..» ردد ألن ذلك بصوت منخفض ، ثم جال ببصره صوب كتلة الانقاض والخشب والجص التي كانت تفسد منظر الجزء الغربي من المنزل ، وهناك تذكر : «آه ، انه يوم الاحد ، اي ان العمال في اجازة . اما بالنسبة لي ، فأيام الاسبوع كافة بمثابة يوم الاحد .....» .

تحركت حمامة بيضاء خلف الاشجار .. «كلا ، انها ليست حمامة ، بل يد ماما المغطاة بالقفاز» . كان القفاز الابيض الكبير ، بمستوى الارض ، يرفع ساقا ، ويمسك اغصانا عشبية برية متطفلة ، في الوقت الذي اقتربت فيه حمامتان لتلتقطا فتات الخبز من فوق الحصى .. اما ساها ، فاكتفت بالنظر اليهما . لكن احد الطيور الواقفة على شجرة الدرداء ، اخذ ينادي ساها بتحَدٍ التي بقيت جالسة مضمومة القدمين ، كأمرأة جميلة حانية رأسها الى الخلف ، في انتظار الاخذ بالثأر ، لكن اوداجها انتفخت غضبا فيما ترطب منخراها .

- انها جميلة كالشيطان ! بل اجمل من الشيطان ، قال لها ألن ذلك .

رغب في مداعبة الرأس الكبير المزدحم بفكرة شرسة ، لكن القطة سرعان ماالتقطت يده بعضة مفاجئة لتتخلص من حنقها ، فتطلع ألن الى راحة يده التي تعلوها قطرتان من الدم ، بنظرة غضب واندهاش لرجل تعرض لعضة من انثاه ، وهما في امتع لحظات السعادة .

- شريرة .. شريرة .. انظري مافعلته بي .... خفضت جبينها ، وشمت رائحة الدم ، ثم تطلعت بغموضٍ الى وجه صديقها .. كانت تعرف الطريقة التي تثير فرحه وشفقته ، فالتقطت قطعة

من البسكويت من فوق غطاء المنضدة ، وامسكتها كما يفعل السنجاب .

بين نسيم شهر مايس وهو يهب فوقهما ، ويحني شجرة الورد ، ومجاميع الطيور والخنافس ، افلح ألن في تذوق اللحظات التي انسته قلق واوهام الشرود في مرحلة طفولته ، ليدرك حقيقة بلوغه الاربعة والعشرين عاما .

«كان عليَّ النوم ساعة اكثر . فالوقت الان لايتجاوز التاسعة والنصف .. واليوم هو الاحد . كما كان الامس بالنسبة لي يوم احد .. ايام احد كثيرة .. ولكن ، ماذا عن الغد ...» ؟

ابتسم لساها وقال لها : «غدا يحين موعد القياس النهائي لثوب الزفاف الابيض .. بدوني .. ليبدو مفاجأة لي يوم الزواج ، واعتقد ان كاميل سمراء بشكل يكفي ليظهر بياض الثوب جمالها .. اما أنا ، فسأذهب لرؤية العربة مفتوحة السقف ... وبقفزة عمودية ، صعدت القطة ، كسمكة تطفو فوق سطح الماء ، وامسكت بفراشة مؤطرة باللون الاسود ، واكلتها ، ثم سعلت وطرحت احد الجناحين ولحست جسمها بتصنع ، فيما كانت الشمس تركز اشعتها فوق شعرها البنفسجي المزرق الشبيه بعنق الحمام . ادارت رأسها وابتسمت له بلا مماطلة .

ـ ياسدي الصغير ، ياقطتي الحبيبة ! ايتها المخلوقة الرائعة ! كيف ستعيشين عندما نفترق ، هل تريدين ان نبقى اسرى لاوامر كاميل ؟

هل تريدين ... لا ادري ....

كانت تنصت اليه وتتطلع لوجهه برقة وشرود ، لكنها رفعت بصرها عنه بعدما ازدادت نبرة صوت صديقها ارتجافا .

ـ اولا ، ستأتين معنا ، فانت لاتكرهين المركبة . ولكن ، لو امتلكنا عربة بعجلتين بدلا من المركبة المفتوحة السقف ، لوجدنا

مكانا مناسبا لك خلف المقعدين ....

صمت برهة ، ثم قطب جبينه حال تذكره صوت الفتاة العصبي المجنون وتذكر : «عندما ستسير المركبة بأقصى سرعتها ، وننزل واقية الريح الى الاسفل ، سنشعر ببشرة خدودنا وهي تندفع الى الخلف حتى تصل آذاننا .. وسيكون ذلك امرا رائعا حقا ..» .

- وهي تندفع الى الخلف حتى تصل آذاننا ، هل تتخيلين ذلك ياساها ؟ ياله من وصف مرعب ... زم شفتيه ، وطغت على وجهه تعابير طفل يتحدى ، ويقدر على الكتمان ، ثم ردد مع نفسه : «لم اتخذ القرار بعد فيما لو سأفضل العربة ذات العجلتين ، واعتقد ان من حقي ابداء رأيي بهذا الشأن !» .

نظر الى شجرة الروز الاصفر بازدراء : وكأنها كانت خطيبته .. ثم عاد بمخيلته الى عدة اعوام سابقة عندما رأى كاميل اول مرة . كانت الصغيرة ، التي تلتصق على ثياب ذويها ، وامارات الكبرياء والانفة تطفح من وجهها ، تتلألأ بسمرتها وبعينيها الواسعتين وشعرها الاسود المتموج الذي يشع بريقا ..

«قولي صباح الخير .. لماذا لاتريدين قول صباح الخير ؟» كان ذلك صوت الطفل ألن الذي صقلته الان سنوات الطفولة والمراهقة والثانوية ، والخدمة العسكرية ... لكن كاميل كانت ترفض قول صباح الخير ، وتمص خدها من داخل فمها ، وتبدي امارات عناد الفتيات الصغيرات .

ابتسم ، وشعر بحاجة فعلية لخطيبته ... ثم بدأ يستعيد في مخيلته صورا واضحة تعمل تارة على زيادة غروره وتهوره وفهمه ، وتثير الاضطرابات في نفسه تارة اخرى . وما ان انتهى من ذلك ، حتى احس ببياض الشمس وحدة الهواء واختفاء

القطة التي تقدمت نحوه حال نهوضه ورافقته في السير لخطوات طويلة كالظبية ، متفادية الحصى الكبير في طريقها .. فتوجها سوية صوب «الاعمال» متفقدين بعدائية ، كومة الانقاض ، واطار النافذة الجديد المثبت في الجدار بلا زجاج ، والادوات الصحية والبلاط الخزفي المربع الشكل .

وبالعدائية ذاتها ، كانا يحسبان الاضرار الناجمة عن رواح ومجيء العمال ، فوقع بصرهما على شجرة زينة قديمة ، كانت قد اقتلعت من جذورها ، وذبلت بشكل تدريجي حانية رأسها نحو الاسفل . فتمتم ألن «ابدا .. لن اسمح بحدوث ذلك » «انه امر مخز .. فانت ياساها لم تعرفي هذه الشجرة الا قبل اعوام ثلاثة .. اما انا ...» .

كانت ساها تشم حشرة تقبع وسط الحفرة التي تركتها شجرة الزينة ، وقد ركزت جل اهتمامها عليها ، فنسيت نفسها حتى الجنون ، وحكت الارض ككلب الاوكار ، ثم تدحرجت كالسحلية ، وقفزت على اقدامها الاربعة كالضفدع ، واحتضنت كومة من التراب بين ساقيها كفأرة الحقول التي تسرق البيضة ، وهربت من الحفرة بطريقة عجيبة ثم جلست فوق العشب الاخضر بهدوء وثبات حابسة انفاسها .

اما ألن ، فكان يحتفظ برصانته ، لعلمه المسبق بأن شياطين ساها يخرجونها عن طوعها ، وان فهمه واعجابه بالقطة شيء غريزي يمكنه بالتالي من ترجمة افكارها وحركاتها بسهولة كبيرة . وهكذا كان يقرأها باعتبارها تحفا فنية منذ اليوم الاول الذي خرج فيه من احد المعارض ، ووضع فوق عشب حي «تيبي قطة صغيرة تبلغ من العمل خمسة شهور ، كان قد اشتراها بسبب تقاطيعها الجميلة الكاملة ، وعزة نفسها المبكرة ، وتواضعها المفعم باليأس وهي تقبع خلف قضبان القفص .

ـ لم لاتشتري نوعا اخر من القطط ذوات الشعر الطويل ؟ سألته كاميل ...

«كانت تشبهك في ذلك الوقت» ، فكر بذلك ألن واضاف «لم تكن ساها تمثل قطة صغيرة حملتها معي ، بل الاصالة بحد ذاتها ، والترفع اللامحدود ، والادب والرقة في التعامل مع الاخرين ...» .

ثم احمر وجهه واعتذر مع نفسه قائلا : «ان ساها هي التي تفهمك افضل من الجميع ..» .

كان عليه ابدال كلمة «التشابه بكلمة «الفهم» وذلك لانه ينتمي لوسط اجتماعي يرفض الاعتراف او مجرد تصور فكرة القرابة مع الحيوانات . لكن ألن فضل لقب «الشاب الذي اشترى القطة» ، بدلا من تمنّي شراء سيارة او مجلد كتاب قيم ، او القيام برحلة ، او التزلج على الجليد كبقية اقرانه .. وهكذا ، شاع هذا اللقب بين عمال مصنع «امباراه وولده» الواقع في شارع «بتيت . شامب» بشكل اثار فيه قلق السيد فيليه حول «الحيوان الصغير» .

«ربما لن اتوصل ابدا لمعرفة كيفية الاختيار ، حتى اخترتك ياساها ... اما فيما يتعلق بزواجي ، فأنه اضفى السعادة على الجميع ، وعلى كاميل ... واعتقد في بعض اللحظات بانه اسعدني ايضا ، ولكن ...» . نهض من المصطبة البيضاء المخضرة ، وتصنع الابتسامة الضرورية لابن امباراه الذي تنازل وتزوج الفتاة الشابة لعائلة اصحاب معاصر الغسيل مالمير .

لكن ألن لم يكن يجهل بان اصحاب معاصر الغسيل مالمير ، كانوا يتحدثون فيما بينهم بغرور وتعال ، عن عائلة امباراه

اصحاب مصنع الحرير ، دون ان ينسوا قول : «ان الامباره لم يعودوا يغطسون في الحرير ، فكل ممتلكات الام والابن لاتتعدى المنزل وان ابنها لاتبدو عليه علامات الاسياد ...» كما ان الن لم ينس قول امه «انها فتاة لاتنتمي لمستوانا .» .

بعينيها الهادئتين ، واذنيها المدوتين المؤطرتين باللون الفضي ، كانت القطة تبدو وكأنها تنتظر بدء حوارهما الذهني وتوارد خواطرهما . فقال لها ألن : «لست سوى قطة متوقدة الذكاء» واضاف : «هل تتذكرين او قط اعجبت به ، آه ، ياقطتي الصغيرة الغريبة ، ياراكضة تحت المطر .. ايتها الفاسقة ...» .

- اية ام قاسية قطتك هذه ! فهي لاتفكر حتى بصغارها الذين انتزعوا منها ! صاحت كامبل باستياء !

«لكن ذلك كان كلام فتاة شابة» والشابات يبدين حنانا وامومة حقة منذ وقت مبكر ...» .

ردد ألن ذلك متحديا نفسه .

ومن بعيد ، وصل اسماعه صوت الحصى المنسحق تحت عجلات احدى المركبات ، فنهض كمن يشعر بالذنب وصاح : «انها كاميل ! والساعة الان الحادية عشرة والنصف ... يالهي !...» .

كان يضبط سترة بجامته ، ويشد حزامه بيده المتوترة ، ثم صاح : «هيا ، ماذا دهاني؟ بالتأكيد سأكرر ذلك خلال اسبوع ... ساها ، هل تأتين لمقابلتها ؟» .

لكن ساها اختفت ، في الوقت الذي كانت فيه كاميل تتقدم بخطوات ثابتة ومسرعة فوق الحصى . فتطلع اليها ألن من بعيد وردد مع نفسه : «آه ، انها بصحة جيدة ، وتبدو متوردة الخدين ، وجميلة بالريشة التي كانت قد غرستها في شعرها المصفف ، وبربطة العنق الحمراء المتناسقة مع لون احمر

الشفاه ، وبماكياجها المتقن وخاتمها الماسي الجديد الذي يلتمع بيدها اليسرى ، ويكسر ضوء الشمس الى الف بريق ملون .

- اوه ، لست جاهزا ! حتى هذا الوقت !.. صرخت بذلك .

لكنها توقفت عن الكلام امام الشعر الاشقر المبعثر ، والصدر العاري خلف البجاما ، والارتباك الذي لون بشرة ألن ، فغزت وجهها تعابير امرأة لم يتجرأ ألن على اعطائها قبلة الساعة الثانية عشرة الا ربعا وقبله الحديقة او الغابة ..

- قبلني ، توسلت اليه بصوت هادىء ، وكأنما كانت تطلب منه النجدة .

وبارتباك واضح ، اشار الى الشجيرات الصغيرة التي تنطلق من قربها اصوات مقص الاشجار والمسحاة وهكذا لم تتجرأ كاميل على رمي نفسها نحو عنقه ، فخفضت عينيها ، وامسكت باحدى اوراق الاشجار وقربتها من خدها ومن الريشة المنغرسة في شعرها ، فأدرك ألن من ذقنها المرتفع وتحرك منخريها انها تبحث في الهواء بوحشية ، عن اريج جسم اشقر ، يكاد يكون مرئيا من خلف البجاما ، وادرك ايضا انها لم تشعر بالخوف منه حال استيقاظه من النوم ، لم ينهض ألن من فوق السرير بقفزة كما كان يفعل سابقا ، بل فتح عينيه قليلا في هذه الغرفة الغريبة ، واحس بطراوة وخلو الجزء الايسر من السرير .. وبالظلمة الخضراء وهي تخيم على الغرفة ذات الجدران الثلاثة ، ثم بساق من النور الحي والاصفر كالعنبر كان يفصل ستارتين من الظلال المتصلب نام ألن ثانية على دندنة اغنية قديمة وهي تردد بفم مغلق . وبحذر كبير ، ادار رأسه ، وفتح عينيه قليلا ، فرأى صورة لشابة عارية ، يميل لونها تارة نحو الابيض ، ثم الى الازرق الهادىء ، وفقا لتحركها في مجرى الشمس الضيق او توغلها في شبه الظل ، وكانت تدندن واضعة

سيجارة بين شفتيها ، وممسكة المشط في احدى يديها ، فردد مع نفسه ، «يالوقاحتها انها عارية ، ولكن ، اين تظن نفسها؟» .

فعرف السيقان الجميلة المألوفة لديه منذ فترة طويلة ، وتطلع الى جسمها ، وايقن انها فقدت بضعة كيلوغرامات من وزنها ... ثم ركز على ظهرها بعد ان استندت على احد النوافذ فردد مع نفسه : «ان ظهرها عريض كخادمات المنازل» ، لكنها اعتدلت فجأة واوسعت خطاها ، ثم ادت في الفراغ ، حركة عناق جميلة ، «كلا ، انها جميلة ، ولكن ... يا ... يالوقاحتها ! هل تعتقد انني ميت ؟ او انها تجد مسألة التجول في اطراف الغرفة وهي عارية امرا طبيعيا ؟ اوه ، ينبغي ان يتوقف ذلك فورا ...» . وما ان استدارت صوب السرير ، حتى اغلق ألن عينيه ثم فتحها ، ليجد كاميل جالسة امام منضدة الزينة التي تطلق عليها «المنضدة غير المرئية» ، وهي عبارة عن لوح نصف شفاف من الكرستال السميك المثبت فوق هيكل من الفولاذ الاسود . فنثرت البودرة فوق وجهها ، ولمست خديها وذقنها بأطراف اصابعها ، ثم ابتسمت فجأة وهي تدير بصرها برصانة وتعب عملا على تهدئة ألن الذي ردد مع نفسه : «انها فرحة اذن ؟ ولكن ماسبب ذلك ؟ انني لا استحق الفرح ... ثم ، لم هذا التعري ؟...» .

ـ كاميل ! صاح بها .

كان يعتقد انها ستهرب نحو غرفة الحمام ، وتقاطع يديها على جسمها ، وتهرع لتغطيته بقطعة قماش مجعدة ، لكنها ركضت ، وانحنت صوب الشاب الراقد والمحتمي في الطحلب الازرق الغامق الذي كان يداعب بطنه الصغيرة ، لتعرض عليه رائحة سمرتها القوية .

ـ هل نمت جيدا ياعزيزي ؟

ـ عارية تماما ! قال لها ذلك بتأنيب اوسعت عينيها بشكل

كوميدي وقالت :
- اجل ، وانت ؟

لم يعرف ألن الذي كان قد تغطى حتى بطنه ، كيف يجيبها .. فقدمت له بفخر وخشونة ودون ذلك الحياء الذي يكتنف الرجل ، بجامته المجعدة المرمية فوق السرير .

- اسرع وارتدها .. فأنا جائعة !
- ان الام بوك في عملها ، والامور كلها تسير على مايرام .

اختفت ، ورغب ألن بالنهوض وارتداء بجامته وتسريح شعره المبعثر ، لكن كاميل عادت مرتبة بروبها الجديد الطويل ، وهي تحمل بيديها صينية مليئة بالاطباق .

- اي مزيج هذا ! فالسكر موضوع في احد اغطية العلب ، وهذا قدح من البايركس ، وكأس قديم ، والاشياء كافة مكدسة مع بعضها .. كما ان قطعة اللحم جافة .. والدراق قديم .. ان الآم بوك تاهت وسط طرق الطبخ الكهربائية ، لكنني سأعلمها اصوله في المستقبل .. ان قهوة السيد ألن ساخنة جدا ، وحليبه يغلي وزبدته جامدة ... كلا ، انه حليبي ، لاتلمسه ! عم تبحث ؟
- كلا ، لاشيء ...

بسبب رائحة القهوة ، كان ألن يبحث عن ساها .

- كم الساعة الان ؟
- ألن تتفوه بكلمة حانية ! فلا يزال الوقت مبكرا يازوجي العزيز ، لانني رأيت ساعة المطبخ تشير الى الثامنة والربع .

صاحت كاميل بذلك . فتناولا طعام الافطار ، بصمت لم يقطعه سوى بضعة احاديث وضحكات .

من رائحة الاشجار الخضر ، كان ألن يخمن مدى قوة اشعة الشمس في الخارج ، لكنه لم يكن قادرا على سحب تفكيره منها ومن الافق الغريب ، والطوابق التسعة المثيرة للدوار ، ومن

الهندسة الغريبة لشقة «كارت ـ دي ـ بري» التي تحتضنها لفترة من الزمن .

كان ينصت لكاميل بكل طاقته ، وذلك لتأثره من محاولتها التظاهر بنسيان ماكان قد حدث بينهما في الليلة الماضية . فجاهد لانتهاز فرصة يتمكن من خلالها البوح بامتنانه لها .. وفكر مع نفسه : «ياللمسكينة ، فهي لم تحقد عليَّ على مافعلته بها ومالم استطع فعله ... ثم ان الأسوأ مافي الامر قد تم .. ولكنني اتساءل ، هل ان الليلة الاولى تكون هكذا دائما ، محاطة بالألم وبشبه نجاح او شبه كارثة ؟» .

وبود ، مرر ذراعه فوق رقبتها ، ثم قبلها .

ـ اوه ... انك لطيف !...

قالت ذلك بصوت مرتفع حتى احمر وجهها ، لكنها ادارته عن ألن لتحول دون رؤيته لعينيها المغرورقتين بالدموع ، وتظاهرت بحمل الصينية ، ثم توجهت صوب النافذة وعثرت بأحدى اطراف الستارة ، فبدت باريس وضواحيها وكأنها صحراء مبقعة بالخضرة . وتوغلت زرقة السماء في الغرفة مثلثة الشكل ذات الجدار الاسمنتي الواحد ، والجدارين الزجاجيين .

ـ ياله من منظر لطيف ، قال ألن ذلك بصوت منخفض ، لكنه كان يكذب ، ويبحث بصدغه عن كتفها ، فاحست كاميل بذلك ، ومدت يدها لتمسك برقبته ، وراودها نوع من الفخر وهي تستعرض حياتها المقبلة الجديدة ، مع شاب اشقر تحبه ويحبها .. أكلا سوية خوخة واحدة ، وضحكا حتى بدت اسنانهما ولثتاهما البيضاوان الشاحبتان كلثة الاطفال المتعبين .

ـ ليلة الامس ! يالها من ليلة ... تنهدت كاميل بذلك ، ولكن سرعان ماراودها الشعور بالفخر فأضافت :

ـ لقد مرت بسلام ، لم اشعر بأذى بالغ ، اليس كذلك ؟

- اجل ، اجابها ألن بكسل .
- اوه ، انت تشبه والدتك ! فقد استحسنت الامر عندما لم يرم احد اعقاب السكائر في الحديقة ، ولم تتلف ارضها الخضراء ، اليس كذلك ، الا تعتقد ان حفلة عرسنا كانت تبدو اجمل لو تمت في حي نيبيَّ ؟ لكن ذلك سيزعج القطة العزيزة .... قل ايها الخبيث ، قل ، عم تتطلع حولك ؟
- لاشيء فلا يوجد ثمة شيء اتطلع اليه سوى منضدة الزينة ، والكرسي ، وسريرنا ...
- ألن تعيش هنا مستقبلا ؟ انني اشعر بالراحة في هذه الشقة ذات الغرف والشرفات الثلاث ، آه ، لو نبقى هنا ؟
- لكن باتريك سيعود من رحلته البحرية بعد ثلاثة اشهر .
- حسنا ، سنخبره برغبتنا في البقاء ، ونطرده خارجا .
- اوه ! ... ستفعلين ذلك ؟

حركت رأسها مؤكدة كلامها . لكن ألن تطلع اليها بقسوة ، فشعرت بنوع من الخوف والارتباك الذي خف حدته حال اقتراب ألن منها وتقبيلها من فمها بشكل سريع . فبقيت صامتة للحظات ، ثم اقتربت لتعيد له القبلة في الوقت الذي كانت فيه احدى يديها التي تمسك نواة الخوخة تتحرك في الهواء بحثا عن منفضة سكائر او قدح فارغ .

اقترب منها ، وبدأ يداعبها آملا في ان تفتح عينيها ، لكن كاميل بقيت مغمضة الجفنين فوق دموع صغيرة قد حبستها ، فابتعد ألن عنها واحترم مشاعرها وكتمانها ... وبدأ يستعرض في مخيلته ليلة الامس ، ثم تطلع لكاميل ثانية وهي مستلقية باسترخاء وردد مع نفسه : «اين ساها ؟... وبشكل ميكانيكي «وكما يفعل مع ساها» بدأت اصابعه تنساب بهدوء على امتداد بطنها .... ولكن ، سرعان ما اطلقت كاميل صرخة قوية وصلبت

ذراعيها ، ثم صفعته على خده بقوة وتطلعت اليه بقسوة قائلة :
- هل انت فاسد لهذه الدرجة ؟

لم يكن ألن يتوقع منها هذا الكلام ، فانطلق في ضحكة رنانة .

لاداعي للضحك ! فأنا اعرف ان الرجال الذي يدغدغون نساءهم ، هم فاسدون ، وحتى ساديون ! نهض من السرير ليضحك جيدا .. ثم قال .
- سأخذ دوشا لعشر دقائق ، هل تسمحين لي ؟

فتح الباب الزجاجي المثبت في الجدار الاكثر طولا والذي يطلق عليه اسم الزاوية القائمة واضاف :- بعد ذلك سأذهب بعض الوقت لامي ...
- اجل ... ولاتريد ان ارافقك ؟

بدت عليه علامات التأثر ، فشعرت كاميل بالخجل لاول مرة خلال النهار .
- سأرى كيف تسير اعمال الترميم ...
- اوه ! الاعمال ... انك تهتم بهذه الاعمال ؟ ولكن اعترف ، لماذا لاتعترف بانك ذاهب لرؤية غريمتي ؟ قالت ذلك كاميل وهي تقاطع ذراعيها بشكل تراجيدي .
- ان ساها ليست غريمتك ، قال ألن ذلك بهدوء ثم اضاف مع نفسه : «لايمكن ان تكون غريمة لك الا من تتصف بطبع شيطاني مثلك ...»
- لم اكن بحاجة الى اعتراض جدي كهذا ياعزيزي . هيا اسرع ! ولاتنس موعدنا لتناول طعام الغذاء مع الاب ليوبولد . ستعود مبكرا ؟ هل تسمعني ؟ كان يسمع كلمة «العودة» بشكل استثنائي لانها تمثل له معنىً جديدا مضحكا وغير معقول ، فنظر الى كاميل بازدراء في ما كانت ملامح تعب عروس شابة تبدو

فوق جفنها السفلي ، تحت الزاوية المفتوحة لعينيها الكبيرة فردد مع نفسه : «هل تمتلكين حال استيقاظك من النوم ، عينا كبيرة مفتوحة كهذه ؟ الا تعرفين اغلاقهما نصفيا ؟ فالعيون المفتوحة بهذا الشكل تثير في الدوار في رأسي » .

كان يشعر بمتعة وراحة غامضة ، فردد مع نفسه ، «ان التفكير مع النفس والتمني ، افضل بكثير من الصدق ..» فأسرع الوصول الى البانيو المربع الشكل والى الماء الساخن والوحدة الملائمة للتأمل ، وما ان دلف غرفة الاستحمام ، حتى عكس له الباب الزجاجي المثبت في الجدار القائم الزاوية ، صورته كاملة ، ففتحه بتمهل ، ولم يعجل لاغلاقه بعد ساعة ، تأهب للخروج من الشقة ، لكنه اخطأ وخرج الى احدى الشرفات التي تحاذي شقة «كارت - دي - بري» ليستقبله الهواء الشرقي الجاف .. فتأمل ألن المنظر حوله ، وتطلع الى سنادين الزهور الخمسة او الستة الموضوعة فوق الحاجز الاسمنتي ، والتي تحتوي على زهور بيضاء وزنابق مبللة بالطلع ثم حجب الزهور عن الريح قبل نزوله .

● ● ●

تسلل في الحديقة كالمراهق الذي يبيت خارج منزله ، واستنشق بنفس طويل ، رائحة التراب والسماد الذي يغذي الزهور الرائعة المجبولة بقطرات الماء التي يحملها النسيم ، واحس بحاجته الى المواساة .

- ساها ! ساها !

لم تأت الا بعد فترة وجيزة ، ولم يتمكن ألن من التعرف عليها في الحال ، وذلك لمسحة الشرود والحزن التي تغلف وجهها .

ـ ساها ! عزيزتي !

احتضنها من صدرها تاركا خاصرتيها اللتين بدتا متقعرتين بعض الشيء ، ورفع عن شيعرها المبعثر ، خيوط العنكبوت ، واغصان الصنوبر الصغيرة ... لكنها استعادت بشكل سريع ملامحها ، ليرتسم فوق عينيها الذهبيتين تعبير مألوف يمتزج بكرامة قطة جميلة ... وكان ألن يحس بتسارع واختلاف في نبضات قلبها الصغير ، وفي موائها الذي غابت عنه الثقة ... فوضعها تحت المنضدة الحديدة ، وبدأ يداعبها ، لكنها شمت يده ، وتراجعت خطوة نحو الوراء .

كان يبحث بعينيه عن الحمامة البيضاء ، وعن اليد المغطاة بالقفاز التي تختفي خلف الزهور والاشجار الصغيرة ، وشعر بالراحة بعد ان تطلع الى الحديقة ، وتأكد من عدم تأثير «حفلة عرسه» على نظافتها وتنسيقها .

فصاح موجها صوته نحو المنزل :

ـ هل اكلت ساها وشربت جيدا ؟ تبدو متعبة ... انني هنا ياماما ...

ومن عتبة الصالون ، برز قوام ابيض واجاب من بعيد :

ـ كلا ، يمكنك التأكد من ذلك لمجرد رؤيتها ، فهي لم تتناول طعام العشاء ، ولم تحتس الحليب هذا الصباح . اعتقد انها تنتظرك ... هل انت بخير ياصغيري ؟

بقي واقفا باحترام امام والدته اسفل درجات السلم ، ولاحظ انها لم تمد خدها نحوه كالعادة ، وانها احتفظت بيديها معقودتين فوق حزامها ، ففهم في الحال ، وشاركها بضجر وامتنان ، هذا الحياء الامومي وفكر مع نفسه : «ان ساها لم تقبلني هي الاخرى ..»

ـ لان القطة تعودت على غيابك .

«لكنني لم اذهب بعيدا وامكث خارج بيتي بهذا الشكل» ردد ألن مع نفسه ، في الوقت الذي تطلع فيه للقطة وهي تشرب الحليب بشراهة فوق المنضدة المعدنية ، وكأنها وحش يشرب بعد مسيرة يوم طويلة ، ونوم قليل .

- الا تريد كأسا من الحليب الساخن مع شطيرة ياألن ؟

- لقد تناولت طعام الافطار ياماما .. تناولنا ....

- اعتقد انك لم تفطر جيدا ، وانت تمكث في مثل تلك الشقة .

وبعين انسان مهزوم ، تأمل ألن القدح الخزفي المذهب الملقى بجانب صحن ساها ، ووجه امه الحبيب الذي يعلوه شعر اشعث اشيب .

- لم أسألك في ما لو كانت ابنتي الجديدة تشعر بالسعاد .. ثم صمتت لبرهة ، وعادت لتصحيح كلامها :

- هل ان صحتها جيدة .

- جيدة جدا ياأمي .. فقد افطرنا في غابة راميوبية ، وسنتنزه في المركبة .

بقي مع ساها في الحديقة ، يجمعهما التعب والصمت والنعاس ، لكن ساها استغرقت في نوم عميق فجائي فاغرة فمها كوحش ميت ، وتاركة زغبها يتحرك في الهواء ، في الوقت الذي كانت فيه تويجات الزهور تنهمر فوقها دون ان تفيق من حلم كانت تتذوق فيه الاطمئنان والامان بوجود صديقها العزيز .

كان شكلها الذي يوحي بالهزيمة ، وحافات فمها الشاحب ، تشير الى قضائها امسية مرهقة وقاسية .

تطلع ألن الى جذع الشجرة الجاف المزين بالنباتات المتسلقة والى مجاميع النحل فوق شجرة اللبلاب وتمنى : «لو انام هنا فوق العشب وبين شجرة الروز الصفراء والقطة ... فكاميل لن تعود حتى وقت الغذاء ، وسيكون ذلك امرا جيدا ... والقطة ،

ياالهي ، القطة ...» ثم انصت لاصوات المطرقة وهي تدق الحديد قرب اعمال البناء ، وسمع جرس المدرسة وهو يدق احدى عشرة دقة ، فنهض وهرب متفاديا ايقاظ القطة .

● ● ●

حل شهر حزيران بايامه الطويلة ، ولياليه التي كان وميضه الخافت عند الغروب ، والاخر الحاد عند الشروق يعكسان الاطراف الشرقية من باريس ... وكان الهواء الهاب حول شقة «كارت - دي - بري» يحرك الستائر الصفر ، ويعبر الغرفة المثلثة ، ويجفف اكداس الشجيرات البرية فوق الشرفات . لكن الزوجين كاميل وألن ، افلحا في التخلص من حدة الجو بالتنزه اليومي وتبادل اطراف الحديث .

«لم كنت اطلق عليها لقب فتاة شابة غير مروضة ؟ تسائل الن مع نفسه بتعجب ؟ فكاميل لم تعد تطلق الشتائم خلال قيادتها المركبة ، وتخلصت لغتها من بعض الشراسة ، كما لم تعد تفضل الذهاب الى «الحانات» التي كانت الغجريات الشابات ذوات الانوف الشبيهة بالفرس ، ينشدن الاغاني فيها .

كانت تأكل وتنام لفترة طويلة وهي تفتح عينيها الواسعتين بعد ان تخلت عن عشرين مشروعا كانت تأمل تحقيقها في فصل الصيف ، واكتفت بمراقبة «اعمال البناء» والاطمئنان على عملية انجازها يوميا . ويحدث ان تمكث في حديقة نيي فترة طويلة حتى خروج ألن من منزل امباراه وولده في شارع بتين شامب ، ليجدها واقفة بلا عمل ، متهيئة لتمديد فترة مابعد الظهيرة ، والسير في الشوارع الساخنة .

سرعان ما اكفهر وجه ألن وهو ينصت لاوامرها التي تقدمها

للصباغين والكهربائيين ، ولسؤالها الذي طرحته عليه ، وكأن واجبها كان التخلي عن رقتها الجديدة حال قدومه .

- هل تسير اعمال البناء على اتم وجه ؟ ان الازمة تتواجد دائما ، وانت المسؤول الاول عن كل ذلك ، لانك تقيم في بيتك من لايستحق ...

لم تكن تحترم حتى مشاعر الخادم العجوز اميل ، بل تطلق عليه صفات تنم عن الغباوة والحماقة . لكنه كان يحتفظ بالصمت تارة ، ويجيبها بشكل هادىء تارة اخرى . ثم يلجأ لالن ويثني على تصرفات زوجته بشكل لايخلو من السخرية والعداء المستتر :

- ان شكل السيدة الشابة زوجة ألن جميل ، وكذلك صوتها ، حيث يعرفه الجيران حق المعرفة ، ويصل اسماعهم كلما تكلمت بشكل مؤدب ، آه ، ولكنها ... تعرف ماتقوله ، بحيث ادعت قبل ايام امام الفلاح ان شجيرات الزينة الجميلة لامكان لها هناك ، وقد ضحكت من كلامها .

قال ذلك وهو يرفع صوب السماء عينيه الشاحبتين اللتين تضحكان ابدا اما ألن فلم يضحك هو الآخر ، لأن حالة ساها الصحية تثير قلقه . فقد خف وزنها ، وبدت كمن فقد الامل في رؤية ألن بمفرده يوميا كالسابق . كما لم تعد تهرب لمجرد وصول كاميل ، او ترافق ألن حتى السياج الخارجي ، بل تكتفي بالتطلع اليه وهو يجلس قرب زوجته برزانة مفعمة بالحزن العميق . «لاتزال تحتفظ بتلك النظرة الاولى التي لمحتها فيها وهي قطة صغيرة تقف خلف قضبان القفص ... انها النظرة ذاتها ...» كان ألن ينادي عليها بصوت هادىء لكنها لم تكن تقفز او ترخي اذنيها ، او تطلق صيحتها المألوفة «م - ررانغ» ! «ولا» مويك - مويك - مويك» بمزاج ورغبة واضحة .

في احد الايام ، وبينما كان ألن وكاميل في موقع اعمال البناء يتفحصان مكان تثبيت البانيو الجديد ، المربع الشكل ، الضخم ، سمع ألن زوجته تتنهد وتقول :

- ألن يكمل بناء غرفتنا !

- ولكنني كنت اعتقد انك تفضلين بشكل عام العيش في «كارت - دي - بري» ، بطيورها المحلقة قربها ... قال لها ألن ذلك بتعجب

- اجل ... ومع ذلك ... فمنزلنا هنا ، منزلك الحقيقي اي منزلنا ...

ثم استندت على ذراعه بدلال ، لكنه لم يتأثر ببياض عينيها المزرق كلون ثوبها الصيفي ، ولا بالماكياج المتقن لخديها وشفتيها وجفنيها .

كانت احدى امسيات شهر حزيران المفعمة بالضياء تأبى الظلام . وكانت الاقداح الفارغة فوق المنضدة الصغيرة ، تجذب نحوها الزنابير الكبيرة في ما تتسع منطقة رطوبة وحيدة اسفل اشجار الصنوبر . ولم تكن اشجار الجيرانيوم المزهرة ، التي تنشر عطرها الجنوبي ، ولانباتات الخشخاش متأثرة بقساوة حر الصيف القادم ... «انها ليست هنا ... ليست هنا» ، كان ألن يقول ذلك مع كل وقع لقدمه ... فكان يبحث عن ساها ويأبى مناداتها بصوت عال ، لكنه احس بوخزة عميقة وهو يراها نائمة او متظاهرة بالنوم فوق جدار صغير ، وقد التفت على نفسها .» «ملتفة على نفسك ؟» في مثل هذا الوقت وهذه الساعة ؟ انها وضعية نوم لفصل الشتاء فقط ، هل تنامين بهذا الشكل ؟..»

- ساها ! عزيزتي !

لم تختلج حالما رفعها في الهواء ، لكنها فتحت عينين غائرتين ، جميلتين ، وغير مكترثتين .

- ياالهى ، لقد خف وزنك ! اخشى انك مريضة ياقطتي

العزيزة !

حملها ، ووصل الى امه وكاميل راكضا وقال :

- امي ، ان ساها مريضة ! فشعرها غير طبيعي ، وقد فقدت من وزنها الكثير ، وكل ذلك يحدث دون ان تخبريني !

- لانها ترفض تناول الطعام بشكل بات ، ولاترغب بتناول اي شيء . اجابته السيدة امباراه .

- لا تأكل ، وماذا بعد ؟ قال ألن ذلك وهو يهدهد للقطة فوق صدره ، وهي مسترخية بأنفاسها المتسارعة ومنخريها الجافين .

توجهت عينا السيدة امباراه بذكاء ، صوب كاميل ، وقالت لابنها :

- ثم ، لاشيء .

- انها تشعر بالضجر منك ، وهي قطتك ، اليس كذلك ؟ قالت كاميل .

اعتقد لاول وهلة ، انها كانت تمزح معه ، فرفع رأسه بتحد ، لكن تعابير وجه كاميل لم تتغير وهي تتطلع بفضول صوب القطة التي اغلقت عينيها حال ملامسة يد كاميل لرأسها .

- امسكي اذنيها ، انها ساخنة جدا ، قال ألن ذلك فجأة ، ثم فكر للحظة وقال :-

- حسنا سآخذ القطة معي ، هلا احضرت لي ياأمي سلتها مع حقيبة مليئة بالرمل لتضع فيه برازها ، اما الباقي ، فاعتقد انه متوفر في شقة باتريك انك تفهمين انني لا اريد اطلاقا .. ان تعتقد القطة .. انني .. توقف عن الكلام ، واستدار متباطئا نحو زوجته :

- ألن تنزعجي ياكاميل من اصطحابي للقطة حتى عودتنا الى هنا بعد انتهاء اعمال بناء غرفتنا ؟

- أي سؤال هذا ! ولكن ، اين ستضعها في الليل ؟ اضافت ذلك بسذاجة مبالغ فيها ، فشعر ألن بالاحراج لوجود والدته ، فأجابها بنبرة جافة :

- ستختار هي مكان نومها .

غادرا المنزل سوية ، وكان ألن يحمل ساها الشاحبة الصامتة في سلة السفر ، فيما انحنى العجوز أميل تحت ثقل الحقيبة المليئة بالرمل واكتفت كاميل بحمل الغطاء المربع الخاص بساها .

- كلا ، لم أكن اعتقد ان القطة تتأقلم بمثل هذه السرعة ..

- القطة تبقى قطة .. لكن ساها غير ذلك ، وتبقى ساها .

كان ألن يقوم بواجبات ضيافة ساها حسب الاصول . لكنها لم تكن معتادة من قبل على البقاء حبيسة داخل خمسة وعشرين مترا مربعا ، ومرئية امام الجميع . ولذلك ، كانت تحاول ارواء حبها للتأمل والظلام والوحدة ، ببقائها تحت الارائك الضخمة المتفرقة في الصالون او في المدخل الصغير ، او بمكوثها في احدى خزانات الثياب المغلقة بالمرايا .

كانت تحاول العيش على مزاجها ، حيث تختار ساعات خاصة للاستيقاظ من النوم ، وتناول الطعام ، علما ان مكان نومها المسائي المفضل هو قرب بانيو الحمّام ، اي في مكان الاسفنجة والصابونة ..

وكانت ساها تستكشف شقة «كارت - دي - بري» بلا تكلف او وحشية ، وتستمع الى حديث السيدة بوك عديم الفائدة عن الكبد الطازج . وما ان يخرج ألن وكاميل صوب الشرفة حتى تأخذ ساها مكانها فوق الحاجز المثير للدوار ، لتتأمل نسمات الهواء ، وتتابع بعينين هادئتين ، ظهور الطيور وهي تحلق تحتها . وكان عدم اكتراثها وهي تقف على حافة الطوابق

التسعة ، تتأمل وتلحس نفسها لفترة طويلة ، يثير جنون كاميل التي تصرخ :

- امنعها من ذلك ! انها تخيفني وتسبب لي تشنجا في ساقي .

لكن ألن كان يبتسم ويتطلع بأعجاب لقطته التي لم تسترد لون شعرها المتقزح كريش الحمامة البنفسجي لكنها كانت تعيش في الشقة بانتظار صوت «البم» الجامد للمصعد الكهربائي الذي يقل ألن ، وتكتفي بالصدقات اليسيرة التي تمنحها لها كاميل خارج اوقات الطعام المحددة ، كصحن صغير من الحليب عند الخامسة عصرا وعظم دجاج صغير يرمى لها من الاعلى ، وكأنما كانت تقدم لكلب بغية حثه على القفز .

- ليس كذلك !... بل بهذا الشكل !... كان ألن يؤنب كاميل ويضع العظم فوق سجادة الحمام او فوق البساط البيج ذي الخيوط الصوفية الطويلة ،.

- ماذا حل بسجادة باتريك ؟ كانت كاميل تستنكر تصرف زوجها ..

- لكن القطة لاتأكل عظما او قطعة لحم صلبة متماسكة فوق سطح صقيل- وعندما يأخذ عظمًا في صحن ، ويضعه فوق السجادة قبل مباشرته بالاكل ، عند ذاك ينبغي ان نقول لا انك ساهمت في اتساخها . فالقطة بحاجة لمسك فريستها تحت قدمها خلال مضغها او تقطيعها للطعام ، وهي تعجز عن ذلك الا فوق ارض او سجادة ... لكن الكثير يجهل .. وبتعجب قاطعته كاميل :

- وكيف عرفت ذلك ؟

لم يطرح عليه من قبل مثل هذا السؤال ، لكنه تملص منه بمزاح قائلا :

- لانني ذكي جدا .. ولاتكرري ذلك ! فالسيد فيليه لايعرف

شيئا عن ذلك .

وكان يلقنها العادات والاعراف الخاصة بالقطط ، وكأنها لغة غريبة دقيقة ، في ما كانت كاميل تتابعه وتطرح عليه عشرات الاسئلة التي كان يجيب عليها بلا تحفظ .

ـ لم تلعب القطة بالخيط في الوقت الذي تخشى فيه الحبل الطويل الذي يحرك الستارة ؟ـ لان ذلك الحبل يمثل لها الثعبان . فقطره كجسم الثعبان ، وهي تخاف الثعابين .

ـ هل رأيت ثعبانا من قبل ؟

رفع ألن عينيه الرماديتين الخضراوين ، اللتين تجدهما كاميل جميلتين جدا و«غذارتين ايضا» .. كانت كاميل تردد ذلك مع نفسها .

ـ كلا ، بالتأكيد لا ... فأين يمكن ان تراها ؟

ـ اذن ؟

ـ اذن ، انها تتخيلها ، وتختلقها في ذهنها مثلما تخافين الثعبان بالرغم من عدم رؤيتك له من قبل .

ـ اجل ، هذا صحيح ، لكنني سمعت الكثير من الحكايات عنه ، ورأيت صوره ، واعلم انه يتواجد .

ـ وساها ايضا .

ـ كيف ؟

ابتسم لها بجفاف وقال :

ـ كيف ؟ منذ الولادة ، كالاشخاص الاخرين الاذكياء .

ـ اذن ، فأنا لست ضمن اولئك الاشخاص . خفف من حدة لهجته اشفاقا عليها وقال :

ـ ياالهي ، كلا ، اطمئني : فأنا الاخر لست من ضمنهم انك لم تفهمي قصدي .

كانت كاميل جالسة قرب ساقي زوجها ، وهي تتأمله بعينيها

الكبيرتين ، بذات العينين القديمتين للفتاة الصغيرة التي تأبى رد كلمة صباح الخير :

ـ عليَّ ان افهم . قالت ذلك بشكل جدي .

كانا يتناولان طعام العشاء كل مساء في الشقة وذلك بسبب حرارة الجو ، كما يدعي ألن ذلك ، «وبسبب ساها» كما كانت كاميل تلمح لذلك .

وفي احدى الامسيات ، صعدت ساها ، بعد طعام العشاء فوق ركبة صديقها .

ـ وانا ؟ قالت كاميل .

ـ لديَّ ركبتان ! اجابها ألن

لكن القطة لم تلبث طويلا في مكانها المفضل ، وكأنما كانت تشعر بما يعتمل في صدر كاميل ، فتوجهت صوب المنضدة الانبوسية الصقيلة ، وجلست فوق ظلها المزرق السابح في ماء مظلم ، ولم يكن ثمة شيء غريب يبدو عليها الا تلك النظرة المركزة التي تتطلع بها الى الامام .

ـ علام تركز بصرها ؟ سألته كاميل .

كانت كاميل تبدو جميلة كل مساء وفي نفس الوقت ، ببجامتها البيضاء ، وشعرها الكثيف المبعثر على جبينها ، وخديها السمراوين اللذين يبدوان من خلف طبقات البودرة التي كانت تضعها منذ الصباح . وكانت تضع يديها فوق صدر ألن ، وتنزع عنه سترته وربطة عنقه ، ثم تفتح الازرار العلوية لقميصه ، فيصفها مع نفسه بالوقاحة ، لكنه يتركها تفعل ماتريد ، خافضا عينيه ليخفي تعبيرا مستاء من طبعها وعاداتها .

كانت المنضدة الدائرية تجمعهما عند مدخل الشقة . وكانت ثلاث من اشجار الحور المعمرة ، تحرك نهاياتها التي تصل

مستوى ارتفاع الشرفة فيما كانت الشمس الحمراء الداكنة ، والمليئة بالبخار تهبط غاربة خلف رأسيهما .

كانت مائدة السيدة بوك ، تضفي على الجو نوعا من البهجة ، وكان آلن يشعر بالراحة ، بعد ان نسي يومه المتعب الذي قضاه في مكاتب امباراه ووصاية السيد فيليه عليه ، فتطلع الى المناظر الجميلة التي تطل عليها الشرفة ، وادار بصره صوب ساها ، وهمس في اذنها : « اكنت في انتظاري ؟» .

ـ سمعت بوصولك ! فأنا اسمع كل شيء من هنا ! صاحت بذلك كاميل .

في احدى الامسيات ، سألها آلن فيما اذا كانت تشعر بالضجر وتخفي ذلك عنه ، لكنها هزت شعرها الاسود معلنة عن نفيها وقالت له :

ـ ابدا ! لقد ذهبت اليوم لزيارة والدتي التي وهبتني هدية لاتقدر بثمن !

ـ وماهي ؟

ـ الخادمة الصغيرة التي ستكون خادمتي هنا . وآمل الا يثير اميل ازعاجها ، فهي امرأة جيدة . قالت ذلك ، ثم ضحكت وهي تحرك فوق ذراعيها العاريين ردنيها البيضاوين ثم فتحت البطيخة التي كانت ساها تحوم حولها . لكن آلن لم يضحك وهو يتخيل في منزله خادمة جديدة ....

ـ نعم ؟ تصوري ان والدتي لم تغير خادمتها منذ كنت طفلا ...

ـ واضح ... فأي متحف هو ! قاطعته كاميل .

كانت تعض قطعة بطيخ ، وتضحك بواجهة الشمس الغاربة ، في ما كان آلن يتطلع اليها متعجبا من تلك المسحة الوحشية المرسومة فوق وجهها وبريق عينيها وشفتيها الضيقتين ، مجاهدا للتخلص من الشعور بالضجر قائلا :

ـ ويبدو لي انك لم تلتقِ بصديقاتك ؟ فربما تتمكنين ...
ـ اية صديقات ؟ انت تقول ذلك لتفهمني انني اثير ضيقك ؟ ولكي اخرج ؟ اليس كذلك ؟

رفع حاجبيه ، فيما تطلعت وبادرت قائلة :ـ

ـ هذا صحيح ... لم امتلك صديقات منذ كنت طفلة صغيرة ، فكيف يمكن ان يكون لي في مثل هذا العمر ؟ هل رأيتني من قبل مع فتاة شابة ؟

واذا ماحدث ذلك ، فيتوجب عليَّ معاملتها كطفلة ، او الاجابة على اسئلتها التافهة كافة . ان الشابات لايلتزمن بالوفاء والتضامن فيما بينهن ، ولسن كبقية الرجال ....

ـ ماذا اذن ، فانا لا اشبه بقية الرجال الذين كنت قد تعرفت عليهم !

ـ آه ، اعلم ذلك جيدا ، وكم كنت اتمنى ان تكون مثلهم ... قالت ذلك بحزن .

كانت حالة الكآبة لاتنتابها الا بشكل نادر وبسبب شيء مبهم او شك تجهل تفسيره .

فتابعت كلامها قائلة :

ـ ثم انك لاتمتلك اصدقاء سوى باتريك الذي سافر ، والذي تكرهه في قرارة نفسك .

دعنا من هذه الاحاديث التي لن ننتهي منها ، اضافت كاميل بذكاء .

وصلت اسماعهما صيحات طويلة منطلقة من حناجر الاطفال المنهمكين باللعب في الشارع ، واختلط في الهواء مع صفير طيور السنونو في الوقت الذي كانت فيه عين القطة بلونها الاصفر الجميل ، تحدق في الفضاء صوب نقطة متحركة طافية .

- علام تركز القطة بصرها بهذا الشكل ؟ فليس ثمة شيء امامها يمكن ان تحدق فيه .

- اجل ، لاشيء بالنسبة لنا ...

كان ألن يتذكر بأسى ، تلك القشعريرة الخفيفة والخوف الذي كان يرتسم في وجه القطة حال رقودها على صدره قبل ايام ...

- انها لاتثير خوفك على الاقل ؟ قال لها ذلك .

استغرقت كاميل بضحكة ، وكأنها لم تسمع سوى تلك الكلمة الجارحة .

- خوفي ؟ انت تعلم جيدا بأن لاشيء يمكن ان يثير خوفي !

- انها كلمة لاتصدر الا من حمقاء . قال ألن بعصبية .

- دعنا من ذلك ، فأنت الان في حالة عصبية . قالت كاميل ذلك وهي تحرك كتفيها . ثم اشارت الى كتل الغيم الكثيفة التي تصعد في السماء وتترافق مع حلول المساء .

- ثم انك تشبه ساها . ولاتخاف العاصفة . اضافت ذلك .

- لا أحد يحب العاصفة .

- انني لا اكرهها . وعلى اية حال ، فأنا لا اخشاها . قالت كاميل ذلك بحماسة .

- العالم بأكمله يخشى العواصف ، قال ألن بتحد .

- حسنا ، لست العالم كله ، وهذا كل مافي الامر .

- بلى ، فأنت تمثلين العالم كله بالنسبة الي ، اجابها بلهجة متصنعة ، لكن كاميل لم تفطن لها .

- اوه ! اسكت والا ضربتك ! هتفت بصوت منخفض .

انحنى صوبها من فوق المنضدة ، وابتسم ثم قال :

- هيا ، اضربيني !

لكنها تخلت عن متعة العبث في شعره الذهبي ، وعن مد ذراعها العاري لفمه اللامع .

ـ ان انفك معقوف ، قالت له بحدّة .
ـ هي العاصفة ، اجابها ضاحكا .
لم تكن كاميل تفضل تلك الكلمات ، لكن اولى اصوات الرعد اثارت انتباهها ، فرمت منديلها ثم توجهت راكضة صوب الشرفة .
تعال ! لنرى من هنا وميض البرق الجميل . ـ كلا ، بل تعالي انت . قال ألن ذلك دون ان يتحرك من مكانه .
ـ اين ؟
بذقنه اشار لغرفتهما ، لكن كاميل ترددت ، على الرغم من تعبير الرضا الذي ارتسم فوق وجهها ، والذي كان ألن يعرفه ، فقالت :
ـ حبذا لو تطلعنا الى البرق قليلا ؟
لكنه حرك رأسه معلنا عن نفيه
ـ لماذا ايها الخبيث ؟
ـ لانني اخاف من العاصفة ، وعليك الاختيار ، بيني وبين .. العاصفة .
ـ اوه ! هل تعتقد !...
ركضت نحو غرفتهما بحركة مندفعة اثارت زهو ألن ، فلاحظ انها كانت قد اشعلت مصباحا زجاجيا لامعا قرب السرير ، وأطفأته حال دخوله الغرفة ..
ـ لننتظر نهاية العاصفة . قالت ذلك .
......
هذا هو ما ارادت التعبير عنه بعد لقاء جسدينا .

كان يمكنها السكوت على الاقل ... فهي كما وصفها أميل ، شابة تعرف ماتقوله ... »ردد ألن ذلك مع نفسه .

وهناك ، انعكس ضوء البرق فوق منضدة الزينة فضمت كاميل ساقها بساق زوجها :

- تفعلين ذلك لتثيري في نفسي الاطمئنان ؟ اعلم جيدا انك لاتخافين الصاعقة .

كان يتكلم بصوت مرتفع ليتغلب على اصوات الرعد والمطر المنهمر فوق السقف المسطح . وكان يشعر بالتعب والتوتر والخوف لمجرد احساسه انه لم يعد وحيدا ابدا . فعاد بذهنه نحو غرفته القديمة ، المغلفة بالورق الابيض المزين بالزهور الهادئة ، والتي لم يحاول احد تزيينها او العبث بها . لكن صوت رعد قوي افاقه من غفوته ، فتطلع الى زوجته الراقدة قربه .

- احبك عندما تنام بعد مجهود جسمي مضنٍ قضيته معي . لقد، انتهت العاصفة .

لم يعشر بالراحة من تلك الكلمات ، واعتبرها حجة للابتعاد عنها فقال :

- ياللرطوبة الخانقة ! سأنام فوق المقعد في غرفة الانتظار .

كانا يطلقان اسم المقعد على الايكة الضيقة الموضوعة في الجرة المستديرة ذات الجدران الزجاجية التي كان باتريك قد خصصها لاخذ جلسات علاج بالاشعة الشمسية .

- اوه ! كلا ، اوه ! كلا ، ابق هنا . توسلت به كاميل لكنه ابتعد عن الفراش وتطلع الى وجهها العدائي ... الذي اضاءه وميض الغيوم المكفهرة .

- اف ! يالك من رجل صغير قالت ذلك ثم سحبت انفه بيدها ، ولكن ، بحركة لا ارادية منه ، ضربها على يدها ...

توقف المطر عن الهطول ، والريح عن العصف ، فبقيا وحيدين وسط الصمت ، وكأنهما اصمان . فمسحت كاميل يدها وقالت :

- لكنك ... لكنك انسان فظ ...
- هذا ممكن ، فأنا لا احب ان يلمس احد وجهي .. الا يكفيك باقي جسمي ؟ لاتلمس وجهي ابدا .
- فهمت ، ومع ذلك ، فأنت انسان فظ ... كررت ذلك ببطء .
- لاتعيدي هذا الكلام ، وانتبهي لحديثك . قال ألن ذلك ، ثم وضع ساقه العارية فوق السرير واضاف :
- الاترين ذلك المربع الرمادي فوق السجادة ؟ انه الفجر الذي يشرق ... فهلا سمحت لنا بالنوم ؟
- اجل .. اسمح لك ... اجابه الصوت المتردد ذاته .
- حسنا ، نامي !

مد ذراعه اليسرى ، فوضعت كاميل رأسها فوق يده بهدوء وحذر ... فما كان من ألن الا تحريكها بود ، وسحبها من الكتف ثم حضنها ، قبل ان يستغرقا في نوم عميق . وعند الصباح ، كانت كاميل تستنشق الهواء بعمق ، وتدير بصرها صوب البقعة البيضاء فوق السجادة ، ثم ترهف السمح لاصوات الطيور وهي تحتفل بأنتهاء العاصفة فوق اشجار الحور :) وعندما استدارت صوب ألن ، ابتسم لها ، ثم سحب يده منها ، وبدأ بتمسيد شعرها بشكل لاشعوري حيث كانت يده تنزلق مرات ثلاث فوق رأسها ، كما لو كان معتادا على ملامسة شعر اكثر نعومة من شعرها الاسود .

مع نهاية جزيران ، بدأت خيوط التناقض تنساب بينهما كفصل جديد بمفاجآته احيانا ومتعه القليلة . وكان ألن يستشعر ذلك كما لو ان ربيعا قاسيا قد حل وُسط الصيف . كان يشعر بالاشمئزاز لمجرد التفكير بانتهاء اعمال البناء في منزل طفولته . وهذا يعني اصطحاب كاميل معه واشراكها في تأملاته ومناجاة نفسه ...

ـ آه ! لندع كل شيء ، ونأخذ السيارة الصغيرة ، ونبلل انفسنا في احد الانهار ! مارأيك ياألن ؟
ـ موافق ، ولكن ، اين سنذهب ؟ اجابها بذلك بطريقة عاجلة ومراوغة .

احتفظ بصمته في الوقت الذي كانت فيه كاميل مستغرقة في ذكر اسماء الشواطىء وعناوين الفنادق . كان يطيل نظره في ساها ، ويردد مع نفسه متأملا : «لا ارغب في السفر معها . وانا ... انا لا اجرؤ على ذلك ... اود فقط ان اتنزه كما كنا نفعل ، ونعود مساءا او في منتصف الليل ... هذه هي رغبتي ...» ثم شعر بالارتجاف واستغرق في التفكير : «انني بحاجة لمزيد من الوقت ، فأنا اعلم انني لا استطيع التكيف مع الاخرين بسهولة ، وانني صعب المراس ، وانني ... لكنني لا ارغب في السفر معها» شعر بالخجل وهو يتحدث «عنها» مثلما كان يفعل الخادمان اميك واديل ، عندما كانا يتحدثان بصوت منخفض عن «السيدة» .

اشترت كاميل خارطة الطرق ، وامضت مع زوجها اوقاتا في التطلع اليها وتحديد مواقع السفر القادم ، واجراء النقاش الودي ، ليستعيدا بذلك متعة كانت مفقودة بينهما ، في الوقت الذي كانت فيه زخات المطر الاستوائية اواخر ايام شهر حزيران ، تملأ شرفات شقة كارت ـ دي ـ بري . كانت ساها تقف خلف زجاج النوافذ المغلقة ، تتأمل سواقي الماء الصغيرة التي تزحف فوق قطع الفسيفساء ، والتي كانت كاميل تحاول تنشيفها بقطعة قماش جافة . كان الافق والمدينة وزخة المطر ، تكتسي لون الغيوم المحملة بالماء الوفير .
ـ هل تودين السفر بالقطار ؟ اقترح ألن بصوت عذب .
كان قد توقع حال سماعها كلماته ، ان تقفز غاضبة ، وفعلا

كان ألن محقا ، حيث اجتاحها الغضب سريعا .
- اخشى ان تشعري بالضجر . فالرحلات التي اتفقنا على القيام بها ... اضاف ألن ذلك .
- والفنادق الصيفية كافة ... والمطاعم ، والبحار المخصصة للسباحين ... الا ترى اننا اعتدنا على قيادة المركبة واجتياز الطرق سوية ، لكننا في قرارة انفسنا لم نقم برحلة ، بل نقطع الطريق فقط . اكملت كاميلكلامه بتذمر .

احس بألمها ، فقبلها من جبينها ، لكنها استدارت ، وعضته من فمه ومن خلف اذنيه ، فاخذها بين ذراعيه ، وامضيا فترة راحة نفسية مشتركة ، اثارت تعب ألن .

كانت كاميل تظهر جرأة غير اعتيادية تثير حياء ألن ... فكانت تطلق ضحكة مخنوقة كلما تثاءب ألن امام والدته خلال تلبيتهما دعوتها لتناول طعام الغذاء . وتحاول افهام السيدة امباراه بتعلق ألن بها لدرجة تثير تعبه فتبدو على وجهه امارات النعاس .

كان ألن يحاول بعد النوم مع زوجته ، التفكير بمصدر التناقض فيما بينهما ، فيعود بذاركته الى مرحلة التقهقر التي يبقى فيها حقد الرجل على المرأة يانعا لايهرم ، ثم يطيل تأمله في جسمها الراقد ببراءة ، فيعجب من شدة سمرتها ، ويترصد الشعر القصير المرتب كأشواك الاسماك الصدفية والمنغرز في البشرة كخطوط ظلال لها تضاريس ، فيتساءل مع نفسه بتعجب : «لم ار فتاة سمراء من قبل ! فبعض الفتيات السمراوات اللاتي تعرفت بهن من قبل ، لم يؤثرن بي لهذه الدرجة ! وكان يمد يده البيضاء ، المليئة بالزغب الاصفر الذهبي ، والاوردة الخضر بلون الزمرد ، فيقارن شعره بشهر كاميل الذي يبدو كغابة ذات انعكاس بنفسجي ، وطحالب وسيقان متوازية بكثافة غريبة تعمل على تركيز بياض بشرة

ألن .
وعندما يطيل النظر ، يشعر بحاجة فعلية للتقيؤ ويبدأ بتأنيب نفسه ثم يحمل لومه واسفه في بهو احلامه المليئة بالمناظر الطبيعية السوداء التي تحركها عيون مقببة واسماك بأنوف معقوفة واقمار وذقون .
كانت كاميل تشعر بازدياد درجة حرارة الغرفة ، فتستنشق رائحة الخشب المتآكل وزهر البنفسج ، مع اوراق البتولا التي تشكل باقة زهر برائحة نفاذة تبقى ملتصقة براحة اليد فترة طويلة . كانت تلك الرائحة تثير ألن على نحو متناقض ، ولاتحفز دائما رغبته الجنسية .چ
- انت كرائحة الروز ، تفقدينني شهيتي ، قال لها ألن ذلك في احد الايام.
فنظرت اليه بتردد ، وتظاهرت بعدم التأثر بالاطراء المبهم هذا ! واجابته :
- يالثقل دمك .
- على الاقل انني اختلف عنك ، اجل ، وانا اعلم من تشبهين .
- اشبه الحسناء ماري دوباس ، لقد قيل لي ذلك من قبل .
- انت مخطئة ياعزيزتي ! فانت تشبهين النساء اللواتي كن قد بكين فوق برج عال ، بعينيك الكبيرة المنتفخة ، والحافة السميكة لجفنك التي تطرح الدمع وتسقطه فوق خدك ...
كانت غريزتها تفوق قابلية ألن الذي بدأ يستنكرها ويعترف في بعض الاحيان إنها كانت تفهم الكلمات الموجزة التي كان يتفوه بها أمامها ، والتي تعبر عن التحدي اكثر من الامتنان . وكان يكرر التطلع اليها بنظرة غيظ ، ويقدر بشكل يخلو من التساهل او التحفظ المزايا الجديدة ، والالق الممل شيئا ما ، والاناني ، لعروس شابة ، وقابلياتها الخاصة . كانت تلك لحظات صدق و

يقين تحاول كاميل اطالة فترتها ، حالة شبه صمت واستقرار محفوف بالخطر .

بعد ان جلست في المركبة المفتوحة السقف قربه . تفحصها ألن جيدا ، فلم يجد فيها مايجعلها العدو اللدود له ، لانه بعد ان استعاد انفاسه وانصت لدقات قلبه ، توقف عن حالة نقدها واهتم بمسألة اكثر اهمية وهي ، كيف سأحول دون ان تعيش كاميل في منزلي ؟

انتهت فترة الخوف من انتهاء اعمال البناء في منتزل والدته ، وكان ألن قد وضع جل امله في العودة الى منزله الاصلي ، الى مكان يستند على الارض فيه ، بعيدا عن الاجواء العالية .

«انني هنا اشعر بالدوار والاختناق . آه د لقد سأمت رؤية اسفل الاغصان وبطون الطيور وهي تحلق » ، تنهد بذلك واضاف بحدة : « ان اسلوبي هذا لايجدي نفعا» ، ولجأ الى وسيلة اخرى ، وهي الكذب .

في عصر احد ايام الصيف التي كانت حرارتها تصهر الاسفلت ، رجع ألن الى منطقة نفوذه السابقة التي لم يكن حي نيي حولها ، سوى شوارع مقفرة . وعربات خالية ، وحدائق تنبح فيها الكلاب . وقبل ان يترك كاميل ، كان قد وضع ساها في الشرفة الاكثر طراوة لشقة كارت - دي - بري ، وكله احساس بالقلق مع الخوف من ترك الانثتين ساها وكاميل سوية .

كان الصمت يخيم على الحديقة والمنزل ، وكانت زهور الروز الناضجة ، وورود الخشخاش والخيزران الحمر ، والسيسم تحني باقاتها صوب الارض الخضراء لشدة حرارة الجو . وفي طرف المنزل . كان باب جديد ينتصب مع شباكين اخرين لبناية صغيرة في الطابق الارضي . «لقد انهى العمال البناء «ردد ألن ذلك مع نفسه وهو يسير بحذر كما في الاحلام ، ويوطيء قدميه

فوق العشب .

وصل اسماعه صوت يصدر من سرداب المنزل ، فتوقف وارهف السمع بشرود ، فعرف الاصوات القديمة للخدم الذين كانوا يلقبونه من قبل بـ «السيد ألن» ويثنون على الرجل الصغير اشقر ، وعلى شكله الرجولي النحيف وحماسته الطفولية ... «كنت ملكا» قال ألن ذلك وهو يبتسم بحزن ... اذن فأنها ، ستنام هنا ؟ سأل احد للاصوات القديمة بوضوح . انها اديل ، ردد ألن مع نفسه وهو يستند الى الجدار ويسترق السمع بلا اكتراث .

- ان هذا المنزل مزدحم بلا شك ، قال ذلك اميل بصوت مرتجف .

فتدخلت احدى الخادمات بشعرها الاشيب ولحيتها الظاهرة قائلة :

- انت محق يااميل . فمن غرفة استحمامهم ، مكننا سماع مايدور في المكان . وذلك لن يروق للسيد الن .

- اخبرتني في آخر زيارتها لنا ، انها لاتحتاج لستائر في صالونها الصغير لعدم وجود جيران في الحديقة .

- لعدم وجود جيران ، ولكن ، اذا مااحتجنا للذهاب الى مغسل الثياب ، فماالذي سنراه عندما تكون مع السيد ألن ؟

ميز ألن ضحكات خافتة ، لكن العجوز اميل عاود كلامه قائلا :

- اوه ! ربما لن نرى اكثر مما رأيناه .. وستعاود طريقها الخشنة ذاتها في التعبير عن افكارها .. ان السيد ألن اكبر من ان يبقى عاطلا فوق الارائك طوال وقته على هذا النحو ..

بقي ألن ينصت وهو مستند على الجدار الحار ، باحثا بعينيه ، عن شعر ساها المتموج ، بين نبات الجيرانيوم وخضرة

العشب .
- انني اجد العطر الذي تضعه مثيرا للدوار ، قالت ذلك اديل .
- وثيابها ، اضافت جوليت الخادم الاخرى قائلة : انها تفتقد الذوق في اختيار ملابسها ، واتساءل عما يمكن ان تبدو عليه خلال اقامتها ، فستظهر كالخادم او مربية ايتام او حتى اسوء من ذلك .

تحركت كوة احد الشبابيك ، وخفتت الاصوات . وكان ألن يشعر بالوهن والارتجاف ويتنفس بثقل كشخص افلت من قبضة سفاحين . لكنه لم يكن متعجبا او مستاء ، فالاراء المنطلقة من الطابق الارضي ، لم تختلف عن احكامه التي اصدرها بحق كاميل . اما ضربات قلبه المتسارعة ، فلم تكن سوى نتيجة لاستراقة الاصوات المنخفضة وجمع الشهود الذي ظهر بمحض الصدفة . فمسح وجهه ، واستنشق الهواء بعمق وكأنه افاق من حالة اختناق .

وماكادت والدته تفيق من قيلولتها ، وتفتح مغلق شبابيك غرفتها ، حتى رأته واقفا ، ملصقا خده على الجدار ، فصاحت يهدوء ام حكيمة :
- ها ! هل انت بخير يابني ؟

امسك بيدها من اسفل مسند النافذة ، كعاشق واجابها :
- اجل ياماما .. وكل مافي الامر انني اتيت سيرا .
- فكرة جيدة .

لم تكن تصدق كلامه ، لكنهما ابتسما وكلاهما يكذب على الاخر .
- هلا طلبت خدمة منك ياأمي ؟
- اراهن انك تطلب نقودا ؟ انكما لم تستلما نقودا كافية لهذا العام ، ياصغاري المساكين ، صحيح ..

ـ كلا ، يامي .. فكل ما اتمناه هو الاتخبري كاميل بقدومي هنا اليوم . وبما انني اتيت بلا هدف ، اعني ، انني لم آرت الا لاقبلك ياأمي ... ثم انني اود ان ترشديني ! والكلام بيننا ، اليس كذلك ؟اخفضت السيدة امباراة عينيها ، وعبثت بشعرها الاشيب المجعد ، وحاولت زيادة ثقة ابنها بها فأجابته :
ـ تعلم جيدا انني لا احب الثرثرة .. وقد اثرت دهشتي بكلامك هذا ... الا تود الدخول ؟
ـ كلا ، يامي .. هل تعتقدين بأمكانية وجود طريقة طبيعية هادئة يتقبلها الجميع ، تحول كاميل دون العيش هنا ؟
كان يشد على يدي والدته ، وينتظر اختلاجهما او زواغنهما لكنهما بقيتا باردتين بين يديه .
ـ لنها فكرة زوج شاب حديث الزواج ، قالت ذلك بغضب .
ـ كيف ؟
ـ اجل ، فبين الازواج يمكن ان يحدث السيء والجيد . وانا اجهل ايهما تفضل .
ـ ولكنني ياأمي لم اسألك عن هذا الامر ، بل اطلب منك ان تخبريني فيما اذا وجدت طريقه ...
لاول مرة ، شعر ألن بالاضطراب امام والدته لانها لم تساعده فأدار جبينه بتبرم .
ـ تتحدث كالطفل ، وتأتيني في مثل هذا الجو الحار ، متخطيا الشوارع بعد خصام بينكما لتطرح علي بضعة اسئلة لن يكمن جوابها الا بالطلاق او الانتقال الى منزل اخر ويعلم الله اين يكون الحل الثالث ...
كانت تتكلم لاهثة ، فشعر ألن بالندم لرؤية احمرار وجهها وتقطع انفاسها فقرر الحد من تطور الموضوع لهذا اليوم وقال :
ـ لم نتخاصم ياأمي ، لكنني فقط لم اعتد على فكرة ... عدم

رغبتها في رؤية ...

وبحركة مشوبة بالحيرة ، اشار الى الحديقة التي كانت تحيط بهما ، والمرج الاخضر ، الزهور وضجيج النحل وهو يحلق فوق شجرة اللبلاب ، والمنزل القديم المقدس له ....

فتقلصت اليد التي كان قد ابقاها في احدى يديه ، وتصلبت بشكل قبضة صغيرة ، فخفض ألن تلك اليد الحساسة وردد مع نفسه : «يكفيني هذا اليوم ...»

ـ سأذهب ياماما ، وتذكري ان السيد فيليه سيتصل بك هاتفيا في الثامنة مساء لتبحثا موضوع انخفاض نسبة الاسهم ... ولكن ، هل استعاد وجهي لونه ياأمي ؟

رفع عينيه المخضرتين بفعل ظلال شجرة التوليب ، ونكس وجهه الذي اعتاد بفعل الحنان واللباقة ، على الاحتفاظ بالمسحة الطفولية ... ثم حرك جفنيه ليزيد من ألق عينيه ، وابتسم بهدوء ، واسدل شفتيه ... فأنفتحت يد امه ، وعبرت مسند النافذة ، لتلمس عظم كتفه وجوزة عنقه ، واعلى ذراعيه ، وهي المناطق الحساسة التي تعرفها جيدا لدى ابنها .. وقالت ..

ـ افضل .. اجل ، تبدو افضل من السابق ...

لقد اثرت في نفس والدتي السعادة بطلبي اخفاء امر ما عن كاميل ... «فكر بذلك ، ثم شد حزامه تحت سترته وردد : «لقد فقدت ومازلت افقد من وزني الكثير ، علما انني لم امارس اي جهد عضلي سوى النوم مع كاميل ...»

خرج من المنزل ، وكان النسيم الذي يزداد طراوة ، يجففه ويطرد من امامه رائحة عرقه الاشقر اللاذعة . وترك معقله المحصّن الذي ولد فيه ، وحلفاءه القابعين في السرداب ... فانقضى النهار بسلام . وفي الليل ، جلس مع كاميل في المركبة ، واستنشق الهواء احيانا برائحة غابة اشجار البلوط المحاطة

بالخنادق الموحلة ، والبلوط الجاف الذي يحمل رائحة القمح في احيان اخرى ، وفكر «سأجلب نباتا لذيذا لساها!» .

شعر بالأسى العميق لمصير قطته التي كانت تعيش في مكان يخلو من الضجيج ، وتهرب من الغرفة مثلثة الشكل ، كلما رأته يداعب زوجته ، وذلك بعد ان فقدت شهيتها للطعام ولغتها المنوعة ومطالبها واكتفت بمتعة الانتظار : «من جديد عاودت انتظارها من خلف القبضان .. انها تنتظري» .

كان صوت كاميل المرتفع يصل إسماع ألن وهو يصعد درجات السلم قبل فتحه باب الشقة المغلق :

ـ انها هذا الوحش المقدس ! ياالهي ! يالها من قطة مثيرة للتعب ! ماذا ؟... كلا ، ياسيدة بوك ، عندما ستقولين ... لايهمني .. لايهمني ذلك ! ثم ميز بضع كلمات جارحة اخرى ، وبهدوء ، ادار المفتاح في القفل ، لكنه ابى الانصات وهو مختبى ، فأستعاد الكلمات التي سمعها «وحش مقدس ؟ ولكن اي .وحش ؟ في المنزل وحش ؟» .

كانت كاميل ترتدي بلوفر* بلا ردنين ، وقبعة من خيوط الحياكة التي ثبتها بمهارة في مؤخرة الرأس ، وقد غلفت يديها العاريتين بقفازين ، فأعترتها الدهشة بمجرد رؤية زوجها .

ـ انت ! من اين خرجت ؟

ـ لم اخرج ، بل دخلت ، ولكن ، من كنت تعنين ؟

بمهارة ، غيرت مجرى الحديث محاولة ايهام ألن فأجابته :

ـ لاول مرة تعود في الموعد المحدد ، انني جاهزة وفي انتظارك !

ـ لست في انتظاري ، لانني عدت في الموعد من تقصدين ؟ لقد سمعت كلمات وحش مقدس ... فأي وحش تعنين ؟

حدقت في عيني زوجها وصاحت :

ـ الكلب ، انه الكلب اللعين في الشارع ، الكلب ذاته الذي ينج

صباحا ومساء ! الا تسمع نباحه ؟ اسمع !

رفعت اصبعها المغلف بالقفاز لتثير انتباهه ، فأستطاع ألن رؤية ارتجافه ، وخضع لحاجة ساذجة لليقين .

- اعتقدت انك كنت تقصدين ساها في كلامك .. تصوري !

- انا ؟ صاحت كاميل . أأقصد ساها بمثل تلك اللهجة ؟ انني لن اسيء معاملتها ، وماالذي يدفعني لذلك ؟ لقد اتيت واخيرا ، اتيت ؟

- + اخرجي المركبة من الكراج ، وسألحق بك في الطابق الارضي بعدما ابحث لي عن منديل وبلوفر ...

شعر بالقلق على القطة ، ولم يجد ساها كالعادة تنظر اليه بتساؤل في الشرفة الاكثر طراوة قرب اريكة القماش التي تنام كاميل عليها احيانا وقت العصر ، لكنه وجد بقايا زجاج مهشم ...

- القطة معي ياسيد ألن ، فهي تفضل منضدتي المنخفضة المصنوعة من القش لتخرمش بها . اخبره بذلك الصوت المزماري للسيدة بوك .

«في المطبخ !» فكر ألن بمرارة . قطتي العزيزة ، قطة الحدائق والزهور تمكث في المطبخ !.. آه ! سيتغير كل شيء!» .

قبل ساها من جبينها ، وانشدها بعض كلمات شاعرية ثم وعدها بجلب زهور الاكاسيا المحلاة ونبات النجيل لكنه احس بحالة غير طبيعية تعتري ساها والسيدة بوك .

- ستعود لنتناول طعام العشاء ، وربما لن نعود ياسيدة بوك . فهل تتوفر احتياجات ساها كافة ؟

- اجل ، ياسيدي ، اجل ، اجل ، ياسيدي ، قالت ذلك السيدة بوك بعجل واضافت .. سأبذل جهدي .. وأؤكد للسيد ..

كان وجه السيدة البدينة متحقنا وتكاد عيناها تتفجران دمعا .

فمررت يدا حانية فوق القطة التي حدبت ظهرها واطلقت مواء ضعيفا «م ... ها» لايصدر الا من قطة مسكينة خجولة ، فأمتلأ قلب صديقها ألن شجنا .

جلست كاميل خلف مقود السيارة ، واوصلته حتى منحدر مونفور - لاموري وقالت :

- سنتناول العشاء هنا ياألن ؟ ... مارأيك ياعزيزي ؟ كانت تبتسم لألن الذي يطيل من تطلعه للجزء الجانبي من وجهها ، متأملا جمالها الذي يتألق عند الغسق ، وخدها الاسمر الشفاف ، وزاوية عينها ، واسنانها ناصعة البياض . وبوصولهما غابة رامبويية ، فتحت كاميل واقية ريح المركبة ، فامتلأت آذان ألن بحفيف الاشجار وخرير الماء الجاري .

- انظر ، هناك ارنب صغير !... وطير ! صاحت كاميل

- ارنب آخر ! مجموعة ارانب ...

- لم يجرب ذلك الارنب حظه .

- في خدك غمازة ، كما في صورك وانت طِفلة . قال ذلك ألن الذي استعاد نشاطه .

- لاتقل لي ذلك ، لانني اشعر بالغرور ! قالت ذلك وهي تحرك كتفيها.

ترقب استئنافها للضحك وعودة ظهور الغمازة على الخد ، بيد ان اهتمامه تحول الى التطلع الى رقبتها الجميلة المدورة فردد مع نفسه : «اجل ، لقد ازداد وزنها بشكل جميل ، وثدياها كذلك ...»... «لكنها تكتسب وزنها مني ..» ثممرر يده تحت سترته ، وامسك خاصرتيه ، وكف عن التطلع الى غمازتيها ووجنتها الطفولية .

وعندما جلس في احد الفنادق المشهورة لتناول العشاء ، اجتاحه شعور غامر بالفرح وهو يتطلع للحضور الذين كفوا عن

تناول الطعام وتبادل اطراف الحديث ، ليكتفوا بتأمل عن تناول الطعام وتبادل اطراف الحديث ، ليكتفوا بتأمل كاميل .. فأبتسم ألن لزوجته ، وارتسمت على وجهيهما تعابير سعادة زوجين جميلين .

كانت كاميل تتكلم بصوت منخفض مشوب بالذبول والمجاملة في الوقت الذي انشغل فيه ألن بأستلام صحن مقبلات الطماطة وسلة الشليك ، والالحاح على زوجته لتناول طبق الدجاج بالكريمة . وكان يملأ قدحها بالخمر الذي لم تكن تفضله كثيرا ، لكنها كانت تحتسيه بشكل سريع .

- تعلم جيدا انني لا احب شرب الخمر ، كانت تردد ذلك في كل مرة تفرغ فيها قدحها .

لم يحمل غروب الشمس ، ضياء السماء الابيض ذا السحابات المرقطة باللون الوردي الغامق . الا ان الغابة التي تشمخ خلف مناضد الفندق ، تبدو وكأنها تطلق الطراوة والليل من بين ثناياها .

وضعت كاميل يدها فوق يد زوجها .

- ماذا ؟ ماذا ؟ ماالذي جرى ؟ قال ألن لها ذلك برعب .

سحبت يدها والدهشة تعتريها في الوقت الذي كان مفعول الخمر يعكس تأثيره على عينيها اللتين اصبحتا رطبتين ، تلتمع بهما الصورة الصغيرة المتذبذبة للبالونات الوردية المتدلية من النباتات المستلقة .

- لاشيء ، ماذا دهاك ! انك عصبي كالقطة ... اهو امر ممنوع ان اضع يدي فوق يدك ؟

فقال لهابتعب :

- اعتقدت انك تنوين البوح لي بحدث هام ... وتخيلت انك ستخبرينني بكونك حاملا ..

اطلقت كاميل ضحكة رنانة جذبت اليها انتباه الحضور وقالت له .

أأنت متأثر بهذا الشكل لفرط فرحك او ضجرك ؟

- لاادري بالضبط .. وانت ، ماذا سيثير صدى الخبر فيك ؟ الحزن ام الفرح ؟ فنحن لم نفكر كثيرا في هذا الموضوع .. وانا بالذات لم اول اهتماما خاصا به ... ولكنني اتساءل ، لم تضحكين ؟ .

- بسبب وجهك .. الذي تغير فجأة ليصبح شبيها بشكل انسان متهم ... وهذا امر مضحك بالفعل ... لكنك بذلك ستفسد ترتيب اهدابي .. كانت كاميل تقول ذلك وهي ترفع بسبابتيها اهداف جفنيها .

- لاعتقد ان ذلك امرا مضحك بل هام . قال ألن ذلك ، ثم تساءل مع نفسه : «ولكن ، لم اشعر بالخوف؟ »

- انه لايشكل اهمية ملحوظة الا للاشخاص الذين لايمتلكون حجرتين فقط .. اما نحن ...

كانت تكلم برصانة وهدوء ، وتدخن سيجارة وقد اسندت خاصرتها للمنضدة ، وقاطعت ساقيها .

- كاميل ! اخفضي جونلتك .

لم تنصت له ، بل تابعت كلامها .

- فنحن نمتلك المستلزمات الضرورية للطفل ، من حديقة ، وغرفة رائعة بحمام .

- غرفة ؟

- اجل ، غرفتك القديمة التي يعاد طلاؤها الان ، ومن فضلك ، لاتختر لون الحافة الورقية بلون مخالف للون ورق تغليف الجدار ..

كانت كاميل مستغرقة في التحدث بلا مبالاة في الوقت الذي انشغل ألن فيه بالتطلع الى خديها الموردين ، واسفل رقبتها الخالي من العظم ، ومنخريها اللذين ينفثان دخان السكائر ... كانت تلمح له بعدم جدوى بقاء الكراج والحديقة ، وبيمكانية الاستفادة من موقعهما في توسيع بناء منزل والدته . وكان الن مترددا في ابداء موافقته او رفضه متشاغلافي جمع حبات الشيلك المتناثرة على غطاء المنضدة بعد ان اثار الحديث عن غرفته القديمة ، السرور في نفسه .

واضافت كاميل قائلة :

- امر واحد من شأنه حثنا على الاستعجال في الانتقال لمنزل والدتك ، وهو الكارت الذي ارسله لي باتريك من باليار .

- من باليار ؟ .. قاطعها ألن وهو يفكر .. من باليار ؟

- اجل ، الميناء القريب . ولكن ، بم تفكر + ؟ اترغب في الذهاب ؟ قالت ذلك وهي تنهض وتتثاءب وترتجف من البرد .

- سؤقود المركبة بنفسي ، وحاولي ان تنامي بعد ان تضعي على كتفيك المعطف القديم .

كانت شظايا الذباب والفراشات والحشرات تتطاير كالاحجار امام مصابيح المركبة التي تتابع تقدمها في الهواء المليء بالاجنحة ، فيما استغرقت كاميل في النوم ، متفادية لمس ذراع الشائق ، ومكتفية بتحريك رأسها بين آونة واخرى .

وعندما وصلا شارعهما الجديد . كان شعرهما واكتافهما قد تبللت بفعل الندى ، وما ان رفع ألن رأسه الى الاعلى ، حتى لمح الظلال الصغير لقطته وسط القمر الذي يوشك ان يكون بدرا وفوق الطوابق التسعة للعمارة ، فقد كانت تنتظره كالعادة .

- انظري اليها ! وكأنها تنتظرك ! قال ذلك لكاميل .

- بصرك حاد ، اجابته كاميل وهي تتثاءب .

- لاتنادي عليها ، كيلا تسقط !
- اطمئن ، فحتى لو ناديتها ، فأنها لن تأتي . قالت كاميل .
- طبعا ، لانها تدرك سبب نداءك لها ! رد عليها ألن هازئا .
وما ان تفوه بتلك الجملة ، حتى شعر بالندم وردد مع نفسه : «لم احسن اختيار الوقت المناسب .. وكان علي تأجيل ذلك !» .
- تدرك السبب ؟ اي سبب ، هيا ، افصح عن نيتك . الا زلت لا اشعر بأحترام لهذا الحيوان ؟ هل اشتكت القطة مني ؟...
« لقد استعجلت في طرحي للموضوع» ردد ألن ذلك وهو يغلق باب الكراج ، ثم عبر الشارع ، والتحق بزوجته التي تنتظره وقد عقدت ذراعيها على خصريها . واضاف مفكرا : «اما ان التزم الصمت واخمد نار النقاش ، او ابدل سهر هادئة بجدال عنيف ... او ... أؤجل ذلك .» .
- حسنا ، انني انصت اليك !
- لنصعد اولا .
- التزما الصمت في المصعد الضيق ، بيد ان كاميل ، وحال وصولها شقتهما ، رمت طاقتها وقفازيها جانبا معلنة عن رغبتها في استئناف الجدال . اما ألن ، فكان منهمكا في مناداة القطة وابعادها عن موقعها الخطر الذي تقف فيه ، فتكللت جهوده بالنجاح ، وتبعته القطة حتى الحمام .
- اذا كان كلامك بسبب ماسمعت من كلمات الشتيمة التي تفوهت بها قبل دخولك الشقة مساء ... قالت له كاميل ذلك حال خروجه من الحمام ..
فقاطعها ألن بنبرة مشوبة بالتعب والارهاق :
- ياصغيرتي ، ماذا سنقول من جديد ؟
- نعلم كل شيء ، وانا واثق بأنك لاتشعرين بأية عاطفة تجاه القطة ، ثم انك وبخت الام بوك اثر تسبب القطة في كسر زهرية

او قدح ... لقد رأيت القطع المهشمة ؟ واكرر لك من جديد ، انني اجب ساها ، وان غيرتك منها تكاد تشبه الاحساس الذي يمكن ان تضمريه لتعلقي انا بصديق طفولة عزيز . وتذكري ان الليل قد ارخى سدوله ، وافضل النوم .. شكرا لك .. واخيرا ، انصحك ان تتفادي الامور في المرة القادمة ، وتربي كلبا صغيرا .

كانت كاميل تنظر اليه بحيرة وذهول ، وقد رفعت حاجبيها تعجبا .

- المرة القادمة ؟ اية مرة قادمة ؟ ماذا تعني ؟ اية امور اتفاداها ؟

احمر وجهها وهي ترى ألن يحرك كتفيه ويطيل التفكير مع نفسه : «آه ! اشعر بالانزعاج ... ستعترف بخطئها اشعر بالضجر ...» .

- اسمع ياألن .

بجهد ، تظاهر بالعنف والسيطرة على الموقف وقال :

- كلا ، ياصغيرتي ، كلا ، ثم كلا ، لن تفلحي في تحويل السهرة الرائعة تلك الى نقاش سخيف ! كلا ، لن تبدلي عودة احساسي الطفولي الرائع بمأساة ، ولن تحوليني عن حب الحيوانات !

احس ألن بنوع من السعادة المرة تجتاح عيني كاميل التي لم تنبس ببنت شفة ، فردد مع نفسه : ربما كانت قاسيا بعض الشيء ، عندما تحدثت عن احساسي الطفولي .. وماذا بشأن حبي للحيوانات ؟ ماالذي اعرفه عنها ؟ ... ليس اكثر من قطة زرقاء ، محاطة بحاشية فضية كالغيمة ، تجلس فوق حافة مثيرة للدوار .

- هيا ، ياعدوتي الصغيرة ، هيا لنرتح قليلا ، قال لك بلطف يشوبه المكر .

فتحت باب الحمام التي تمكث ساها فيه طوال الليل ، بيد ان القطة لم تبد لها الا اهتماما قليلا .

ـ ولكن ، لماذا ، لماذا ، لماذا ، قلت لي : في المرة القادمة .. كان صوت الماء يقطع كلام كاميل التي لم تتلق اية اجابة من زوجها ...

وعندما التحقت به في السرير الواسع ، تمنى لها نوما هادئا ، وقبلها بشرعة من انفها الخالي من البودرة ، في حين، كان فم كاميل يقبل ذقنه محدثا صوتا فارغا .

عندما نهض في ساعة مبكرة ، توجه بهدوء لينام في غرفة الانتظار ، على الاريكة الوحيدة المحصورة بين جدارين زجاجين . واعتاد ، في الليالي اللاحقة ، على اتمام نومه هناك بعد ان يغلق الستائر الغامقة اللون ذات القماش المشمع التي اثرت الشمس في حداثتها .. وهناك ايضا ، كان يستنشق عبير وحدته ، وعطر نباتات الزينة ، بعد ان يمد ذراعيه ، ويطوي الاخرى على صدره ، تماما كما كان يفعل عندما كان طفلا . وكان يحاول جهده استرجاع احلامه القديمة التي حرم منها بفعل التعب الذي يشعر به بعد مضاجعة كاميل .

ارهف ألن السمع نحو الغرفة التي تركها توا وهرب منها ، غير ان كاميل لم تفتح الباب وبقيت وحيدة بعد ان رفعت نحوها الشرشف المجعد ، والغطاء الحريري المبطن ، ثم عضت ابهامها ندما ، واطفأت بضربة جافة ، ضياء المصباح المنضدي الذي يعكس نورا خافتا ابيض اللون فوق السرير ، ولم يكن ألن يعرف فيما اذا كانت كاميل قد اخذت قسطا وافرا من النوم المريح في السرير لوحدها ، بعد ان كانت قد تلقنت منذ صغرها معلومات تفيد ان النوم الانفرادي يولد استيقاظا نشيطا ، لانها تظهر في الصباح مرتبة ، ومرتدية الروب الاسفنجي والبجاما . لكنها لم

تكن قادرة على فهم حقيقة هامة ، تكمن في ان مزاج الرجل الجنسي ماهو الا فصل قصير ، وان عودته غير الاكيدة لايمكن اعتبارها بداية جديدة .

كان مستلقيا ، يستروح هواء الليل ، ويرهف سمعه للصمت المطبق الذي لايشوبه سوى اصوات المركبات التي تمر بها عبز نهر السين القريب . وكان يؤجل نومه حتى ظهور ساها التي تقدمت نحوه ، ووقفت على حافة النافذة المتفوحة ، وأبت النزول فوق صدر ألن بالرغم من توسلاته وكلماته المعسولة التي كانت تعرفها من قبل :

- تعالي ، ياقطتي الصغيرة ، ياقطة الاعالي والزهور ... ساها ، ساها ...

لكنها كانت تقاوم ، وتفضل الجلوس فوق حافة النافذة في الظلام ، فيعجز ألن عن رؤيتها ، بشكل كلي ، ويكتفي بتمييز شكلها وذقنها المنحني ، واذنيها الممتدتين نحوه ، لكنه لايخطىء ابدا قراءة التعبير الحزين الذي يرتسم فوق عينيها الجميلتين .

كان الاثنان يجلسان فترات طويلة في الشرفة يجمعهما الحزن والوحدة ، فتنطلق القطة احيانا راكضة خلف حمامة طائرة مطلقة صوتا ضعيفا «ايك .. ايك ..» بدلا من «مويك .. مويك» التي تعبر به عن انفعالها وحبها للعب المسلي .

- غرفتنا ، حديقتنا .. منزلنا .. همس لها في اذنها .

كان الألم يعتصر قلب ألن وهو يحس بوزن القطة وقد خف عن السابق ، وبحزنها وصبرها ، تماما كالاشخاص المتعبين الذين يلتزمون بوعد قطعوه على انفسهم .

● ● ●

في احدى امسيات شهر تموز ، كانت كاميل وساها تنتظران عودة ألن ، وقد استندتا على حاجز احدى الشرفات ... ولم تكن كاميل تفضل هذه الشرفة ، التي تحبها القطة وتقضي فيها معظم الوقت ، والتي يحددها قاطعان من البناء الذي يحافظ عليها من شدة هبوب الريح ويبقيها في عزلة تامة عن الشرفات الاخرى .

تبادلا نظرة سريعة متفحصة ، ولم تشأ كاميل التحدث مع ساها ، بل اكتفت الانحناء وكأنها تريد تعداد طوابق الستائر البرتقالية المنسدلة من الاعلى الى اسفل الواجهات المثيرة للدوار ، ثم لمست القطة التي سارعت بالنهوض وانسحبت لتفسح المجال لكاميل ، ولترقد بعيدا عنها .

عندما كانت كاميل تبقى لوحدها ، فانها تبدو تماما كما لو كانت صغيرة تأبى قول كلمة صباح الخير ، وتغزو وجهها تعابير ساذجة شيطانية .. تثاءبت بعصبية ، ووقفت ، ثم سارت بضع خطوات ، وانحنت من جديد مرغمة القطة على القفز . يكن القطة ابتعدت بكبرياء وفضلت الدخول الى الغرفة ، بيد ان الباب القائم الزاوية كان قد انغلق ، ففضلت ساها الجلوس بصبر . وبعد برهة ، تحتم على ساها فسح المجال لكاميل التي بدأت تحث خطاها من حاجز الى اخر ، بخطوات طويلة وفجائية في الوقت الذي كانت ساها فيه تقفز فوق الحاجز ، وتغير مكانها كلما اقتربت منها كاميل ، حتى احتمت قرب الباب المغلق .

تسمرت نظرات القطة ، وادارت كاميل ظهرها الذي بقيت القطة تتطلع فيه بأنفاس متسارعة ثم نهضت ، واستدارت حول نفسها مرتين او ثلاثا ، ثم تأملت الباب المغلق ... اما كاميل ، فلم تكن قد تحركت ، فنفخت ساها منخريها ، وبدت عليها امارات القلق الشبيه بالغثيان .

واستمرت في اطلاق المواء الحزين فترة طويلة وكأنه اجابه

لمصير صامت وشيك الوقوع ، فاستدارت كاميل نحوها .
كانت كاميل شاحبة بعض الشيء وتحاول التظاهر بعدم الاكتراث ، بيد انها بالرغم من استغراقها بدندنة بفمها المغلق ، وسيرها بضع خطوات ، فأن صوتها انحبس اخيرا ، حين حاولت رمي قدمها فوق القطة التي قفزت والتصقت بالباب .
كانت ساها ترتعش خوفا وتؤثر الصمت وهي تتطلع الى كاميل التي تطاردها ذهابا وايابا بهدوء تام .
ولم تحاول القفز فوق الحاجز الا بعد ان وصلت فوقها قدما كاميل ، كما لم تبلغ ارض الشرفة الا لتتفادى الذراع الممدود التي تريد القاءها من اعلى الطوابق التسعة .
كانت ساها تهرب بصمت وتقفز بهدوء وهي تركز عينيها على خصمها ، رافضة التهور او التضرع ... وكان الانفعال البالغ والخوف من الموت سببا في زيادة افراز جسمها للعرق الذي سال حتى بلل قدميها ، مما ابقى اثار سيرها فوق الشرفة المطلية بالجص .
بدأت قوى كاميل الاجرامية تنهار ، فتطلعت الى الشمس المائلة للغروب ، ولمحت الوقت في ساعتها اليدوية وارهفت السمع لرنين كرستالي في الشقة .. وبعد لحظات ، اتخذت قراراه .. فشعرت ساها بترنح صلابة عدوتها وتحركة في الشرفة ، بيد ان يدا كاميل الممتدتين ، امسكت بها ، ودفعتها الى الفراغ .
استمعت كاميل لصرير مخالب ساها وهي تتشبث بالشرفة المبنية باللبن ، ورأت جسمها الازرق يلتوي على نفسه ويتعلق بالهواء بعنف ، فتراجعت كاميل واستندت على الجدار .
ولم تكلف نفسها عناء النظر الى الاسفل في بستان الفاكهة الصغير المسيج بالحجارة الجديدة ، بل عادت ادراجها الى

الغرفة ، ووضعت يديها فوق اذنيها ، ثم سحبتهما ، وهزت رأسها وكأنما كانت تنصت لدوي بعوضة .. وجلست ، وكادت تغفو .. بيد انها انتبهت لليل الذي ارخى سدوله ، فوقفت وطردت الظلمة بأشعالها المصابيح الهادئة . كانت تتنقل بخفة ورشاقة حالمة وهي تحرك الاشياء ، وتردد بصوت عال :

- اشعر بخفة ، كما لو فقدت من وزني الكثير .

انتظرت عودة زوجها ، وكانت تحني رأسها نحو المصعد المدوي والمختلج وترهف سمعها لكل الاصوات التي تصل اذنها ، غير ان الدهشة لم تعترها الا عندما حل صوت الارتجاف الاصم لرنين الجرس ، محل الصوت المتردد الذي يحدثه المفتاح بدخوله في القفل ، فركضت وفتحت الباب بنفسها .

- اغلقي الباب ، ودعيني اتأكد فيما او كانت قد اصيبت بجروح ، وقربي مني الضوء . طلب منها ألن ذلك ، وكان يحمل ساها حية بين ذراعيه ، فتوجه مباشرة صوب الغرفة ، ودفع جانبا الانية المزخرفة الموضوعة فوق منضدة الزينة . وبهدوء تام ، وضع القطة فوق اللوح الزجاجي . فوقفت فوق قوائمها بتوازن وجالت بنظرات مبهمة حولها ، وكأنما كانت في مكان غريب عنها .

- ساها ... ناداها ألن بصوت منخفض .. ستكون معجزة لو لم تصب بأذى .. ساها !

رفعت نحوه رأسها ، وكأنما تريد طمأنة صديقها ، ثم اسندت خدها فوق كفه .

- سيري قليلا ياساها .. انها تمشي ! اوه ! لالا ... سقوط من تسعة طوابق لم يخفف من حدته سوى الستارة المظللة المركبة خارج احد شبابيك الطابق الثاني ... حيث لبثت هناك وهلة ، ثم عاودت سقوطها فوق بستان البوابين الصغير . وقد اخبرني

البواب انه لمحها وهي تهوي في الهواء واعتقد اول الامر انها مظلة تسقط من احد الطوابق . ولكن ماهذا الذي بأذنيها ؟.. كلا ، انه بياض اكتشبته من الجدار . انتظري ، سؤستمع لنبضات قلبها ...

ارقد القطة وانصت لخفقات جنبيها المضطرب . وبدا بشعره الاشقر المبعثر وعينيه المنغلقتين وكأنه ينام على جنب ساها .. بيد انه انتبه لنفسه ، وتنهد ثم لمح كاميل التي كانت واقفة ، تتطلع اليه بصمت فسألها :

- هل تعتقدين ! انها لم تصب بأذى .

فلم اجد فيها شيئا سوى سرعة في ازدياد نبضات قلبها .. وذلك امر طبيعي يحدث عند القطط عادة . ولكن ، كيف حدث ذلك . انني اسألك ان كنت تعرفين السبب ياعزيزتي . لقد سقطت من هذه الجهة .. قال ذلك وهو يتطلع الى النافذة المفتوحة .. واضاف مخاطبا ساها .

اقفزي على الارض .. ان استطعت ذلك ...

قفزت بعد ان ترددت بعض الشيء ، بيد انها عادت لترقد فوق السجادة ، وكانت تتنفس بسرعة ، وتعاود التطلع بنظرة شك الى كل ارجاء الغرفة .

- رغبت الاتصال بالدكتور شيرون ... ولكن ، هاهي تلحس نفسها .

لاتفعل ذلك عندما تشعر بألم ما .. آه ، ياالهي !

انسحب ، ورمى سترته فوق السرير ، ثم توجه صوب كاميل ...

- اي حالة استنفار هذه ... ولكنك تبدين رائعة الجمال بملابسك البيض ... هيا قبليني ياحبيبتي .

رمت نفسها بين ذراعي زوجها الذي تذكرها اخيرا ، وعجزت

عن حبس دموعها ونحيبها المتقطع .

ـ كلا ؟... هل تبكين ؟

اجتاحه الاضطراب هو الاخر ، فأخفى جبهته في شعرها الاسوط الناعم وقال :

ـ لمْ .. لم اكن اعلم انك رقيقة القلب ، تصوري ...

احتفظت برباطة جأشها ولم تعقب على كلامه . بيد ان ألن عاد بسرعة صوب ساها ، ورغب في اصطحابها نحو الشرفة الاكثر طراوة من الداخل ، لكنها ابت واكتفت بالمكوث قرب عتبة الباب المؤدي الى الشرفة ، وادارت رأسها نحو لون السماء الازرق الشبيه بها . وكانت تستدير وتراقب بين آونة واخرى الغرفة مثلثة الشكل .

ـ انها الصدمة العصبية .. كنت ارغب اصطحابها الى الشرفة .

ـ دعها ، لانها لاترغب بذلك ، قالت كاميل بضعف .

ـ اجل ، فنزواتها ينبغي ان يتم اعتبارها اوامر ، وخاصة اليوم ! ولكن ، ماذا عندكم من طعام في مثل هذا الوقت ، في التاسعة والنصف !

دفعت الام بوك منضدة الطعام حتى الشرفة ، فتناولا طعام العشاء بمواجهة الجهة الشرقية الاكثر انوارا في باريس . وكان ألن يتحدث كثيرا ويشرب العصير ، مؤنبا ساها ، وسابغا عليها صفة افتقاد المهارة والتهور وارتكابها «خطأ قطة» ...

ـ ان «اخطاء القطة» ماهي الا انواع من الاخطاء الرياضية المنسوبة الى الحضارة والتدجين . ولا علاقة لها بعدم المهارة او العنف المقصود ...

بيد ان كاميل لم تسأله : «كيف عرفت ذلك ؟» وبعد العشاء ، حمل ألن ساها ، وقاد كاميل الى داخل الشقة حيث كانت ساها قد رضيت باحتساء الحليب الذي رفضته سابقا ، وكان جسمها

يرتجف ، كالقطط المجبرة على شرب سوائل باردة .

ـ الصدمة العصبية ، كرر ألن . وبالرغم من ذلك ، فسأطلب الدكتور شيرون هاتفيا لمعاينتها صباح الغد ...

اوه ! انني سريع النسيان ! صاح ذلك بفرح . اتصلي بالبواب ! لانني تركت في خجرته اللفافة الورقية الكبيرة التي جلبها لنا ماسارت ، مصمم الديكور .

انصاعت كاميل لطلبه ، في الوقت الذي استرخى فه على احدى الارائك واغلق عينيه .

ـ الو ، نعم .. ينبغي ان يكون كذلك ... اجل ، لفة كبيرة .. شكرا جزيلا .. قالت ذلك كاميل .

كان ألن يضحك وهو يغلق عينيه فتقدمت كاميل قربه ، وتطلعت اليه وهو يستغرق في الضحك .

فقال لها .

ـ اي صوت رقيق هذا الذي تحدثت به ! «لفة كبيرة شكرا جزيلا» . قال ذلك بتغنج . اتحتفظين بالصوت الرقيق هذا للبواب ؟ تعالي لنتفحص ذوق ماسارت وماختاره لنا . فبسط فوق المنضدة الابنوسية ورقة كبيرة . وفي الحال ، قفزت ساها المغرمة بالورق القديم ، لتتطلع الى الرسوم الالمانية المطبوعة .

ـ ياللطفها ! انها تتصرف بهذا الشكل لتبرهن لي على عدم اصابتها بأي سوء .

آه ، ايتها الناجية من الموت !.. لكن ، الايوجد ثمة تورم في رأسها ؟ كاميل ، تحسسي رأسها .. كلا ، لايوجد اي ورم . ومع ذلك ، تلمسي رأسها ياكاميل ..

حاولت المجرمة الصغيرة الوديعة ، الخروج من حالة النفي التي استغرقت فيها ، فمدت يدها ، وتلمست بهدوء وحقد متواضع ، قمة رأس القطة التي صرخت في الحال ، وقفزت

كالمصابة بالصرع ، كأجابة على تصرف كاميل ، ورمقتها بنظرة تتطاير شررا واتهاما ، ثم نفشت شعر ظهرها ، وكشفت عن انيابها واحمرار منخريها فسحبت كاميل يدها وكأنها قد لمست نارا حامية ..

نهض ألن استعدادا لحمايتهما من بعضمها ... وقال :

- انتيهي ! انها .. ربما اصيبت بالجنون .. ساها !...

تفرست في وجهه بحدة وعنف مشوبين بنظرات تؤكد عدم فقدان صوابها .

- ماذا جرى ؟ اين لمستها ؟

- لم المسها ...

كانا يتحدثان بهمس ..

- هنا مثلا ... انني لاافهم ... قدمي يدك مرة اخرى ياكاميل ،

لااريد ! احتجت كاميل . فربما جنت ، اضافت ذلك .

جازف ألن وشرع بمداعبة ساها التي خفضت شعرها المجعد ، وبدأت تسترخي تحت راحة يد صديقها بيد ان عينيها الملتهبتين شررا ، بقيتا ترمقان كاميل .

- ابهذا الشكل .. كرر ألن ببطء ، هاهو ذا جرح في انفها لم اره من قبل ... وهو بالاحرى دم جامد . ساها . ساها .. اهدأي . اضاف ذلك ، وهو يرى تزايد حدة الغضب في عينيها الصفراوين .

واثر انتفاخ خديها وتصلب شاربيها واندفاعهما نحو الامام ، وتوتر ذقنها ، كان شكل القطة يبدو بهيئة غريبة وكأنها تضحك مما اثار حيرة ألن الذي سأل بشكل فجائي :

- ماهذا ؟

- ماذا ؟

كانت كاميل تستجمع رباطة جأشها ، وغزيرة الدفاع عن

النفس بمواجهة النظرات القاسية التي تنظر بها القطة ، فيما كان ألن ينحني فوق الورق ويميز اعداد من الطمغات الرطبة لقوائم القطة الاربعة التي تتجمع حول بقعة وسطية غير منتظمة .

- قوائمها ... مبللة ؟ تمتم مع نفسه .

- ربما سارت في الماء ، انك تهول الامور ياألن اجابته كاميل .

رفع ألن رأسه صوب الليل الجاف والازرق .

- في الماء ؟ في اي ماء ؟ سأل ذلك ثم استدار صوب زوجته ، وقد اقمتع وجهه غضبا وتدورت عيناه وقال بحدة :

- الاتدرين ماذا تعني اثار قوائمها تلك ؟ كلا ، كلا تعرفين شيئا . انه الخوف . هل تفهمين ، انه الخوف عرق الخوف . عرق القطة ، العرق الوحيد الذي تفرزه القطة .. اذن ، لقد تعرضت لحالة الخوف .. ثم امسك برقة احد قائمي القطة الاماميين ، ومسحه بكفه ، وتفرس في مكان المخالب وردد مع نفسه :

- لقد تكسرت مخاليها كافة .. بعد ان تمسكت بشيء ما .. لقد خدشت الحجارة بتشبثها بها ... انها ..

توقف عن الكلام ، واحتضن القطة تحت ذراعه ، ودخلا الحمام . اما كاميل ، فبقيت وحيدة ، عاقدة يديها ، وتبدو منهمكة بربط شيء ما .

- سيدة بوك ، هل ثمة حليب ؟

ناداها ألن من الحمام .

- اجل ، انه في الثلاجة

- اذن ، فهو متجمد ؟

- ولكن بأستطاعتي تدفئته على نار الموقد .. اهو للقطة ؟ أهي مريضة .؟

- كلا ، انها ...

كف ألن عن الكلام ، وعدل عن البوح بأي شيء قائلا :
ـ ... كلا ، لقد سئمت مذاق اللحم في مثل هذا الجو الحار ... شكرا لك ياسيدة بوك ، ويمكنك الذهاب الان ، الى اللقاء صباح الغد .

سمعت كاميل وقع اقدام زوجها الذي كان يراوح في الحمام ذهابا وايابا ، ويفتح صنبور الماء فعرفت كاميل انه كان يجهز القطة بالغذاء والماء .

وعندما خرج من الحمام ، شد على خصره الحزام الجلدي وجلس حول المنضدة الانبوسية دون ان ينادي على كاميل لتجلس قربه ، فتداركت الموقف وسألته .
ـ هل سمحت للسيدة بوك بالخروج ؟
ـ اجل ؟ هل اخطأت ؟

كان يشعل سيكارة ، وينظر لشعلة المقدمة بطمع .
ـ كنت انوي ان تجلب لي معها غدا صباحا ... اوه ! لايهم .... ولاتعتذر ...
ـ لكنني لم اعتذر .. وكان من المحتم علي التصرف بهذا الشكل .

توجه صوب النافذة المفتوحة ليتطلع الى زرقة الليل ، وكان يتفحص مع نفسه ارتجافا لاعلاقة له بشعوره الحالي ، بل هو ارتجاف شبيه بتكرير نغم موسيقي سريع اصم وقابل للفهم . ومن بعيد ، ارتفعت في السماء ، الالعاب النارية التي تفتقت عن اشكال زخرفية مضاءة ثم سقطت وذوت الواحدة تلو الاخرى ليسترجع الليل .. هدوءه وظلمته العميقة . فأقتربت منه كاميل .
ـ انهم يحتفلون ؟ لننتظر الالعاب النارية ... هل تسمع اصوات الغيتار .

لم يجبها ، لانه كان منهمكا في ارتجافه الخاص . وكانت يداه

ومعصماه ترتعدان ، ويشعر بوخزات مؤلمة في كليتيه ، وكانت حالته تلك تذكره بالتعب المضني الذي كان يشعره عقب المباريات الرياضية التنافسية في المدرسة ، سواء في مسابقات الركض او التجذيف التي كان يخرج منها حاقدا على نصره او هزيمته مضطربا ومنهك القوى ، ولم يكن يشعر بالاطمئنان الا فيما يتعلق بحالة ساها الصحية . بيد انه منذ مدة طويلة ، او منذ لحظة قصيرة ، او منذ اكتشافه لمخالب القطة المهشمة وخوفها الهائج ، لم يعد يحسب الوقت .

- انها ليست اسهما نارية ، بل رقصات ... قال ذلك . ومن خلال الحركة التي ادتها قربه كاميل ، فهم ألن انها لم تكن تنتظر جوابا منه ، بل تستجمع قواها وتقترب اكثر ... احس بها دون فهم ، وتمعن جانبيا بثوبها الابيض ، وذراعها العاري ، وتطلع الى نصف وجهها الذي تنعكس المصابيح الداخلية الصفر فوقه ، كان نصف وجهه قد امتص الليل لونه ، نصفا وجه يقطعهما انف منتظم صغير ، ويضم كل منهما عينا كبيرة لاتطرف الا قليلا .

- اجل ، رقصات ... وتلك الاصوات تنطلق من آلات وترية وليست من غيتارات .. استمع اليها جيدا .. قالت ذلك وشرعت تترنم بكلمات الاغنية ، بيد ان صوتها تعثر مع النوتة العالية ، فسعلت لتتفادى عجزها .

«ولكن اي صوت ناعم تتمتع به الان ...» تساءل ألن مع نفسه بتعجب واضاف :

ماذا فعلت بصوتها الواسع كعينيها ؟ فهي تغني الان بنبرة فتاة صغيرة ؟..» .

توقفت الالات الوترية عن العزف ، وحمل النسيم الى اسماعهما ، اصواتا ضعيفة لضجيج بشري مشوب بالتصفيق

والهتاف .. وبعد وهلة ، ارتفعت في السماء احدى الالعاب النارية التي تفتحت عن اشعاعات بنفشسجية اللون تدلت منها دموع من النيران المتوهجة الجميلة .

ـ اوه ! صرخت كاميل .

برزا من الظلمة كتمثالين من المرمر فأنطفأت الالعاب النارية ، وتنفست كاميل اثرها الصعداء . ثم شرعت في الغناء بصوت مرتفع ومتردد ، وكأنها تتهيأ للبكاء .

كان هذا الصوت يضاعف حزن ألن ، ويولد في نفسه حاجة لافشاء السر ، ورغبة في تحطيم ماحدث بينه وبين كاميل واحساسا لايعرف له اسما ، لكنه كان يكبر بسرعة ويحول بينه وبين مسك كاميل من رقبتها كالصبي وهو الامر الذي جعله متسمرا بوقوفه ، متيقظا ومستندا على الجدار الدافيء الذي لايزال محتفظا بحرارة النهار .. فشعر بنفاذ الصبر وقال :

ـ غنى مرة اخرى ....

ومن جديد ، تفرقت رشقات من الالوان في السماء ، وهبطت كأغصان الصفصاف لتلون السماء فوق الساحة . ولتيح الفرصة لألن لرؤية زوجته التي تعتريها الدهشة والحذر .

ـ ماذا اغني ؟

ـ «حب في المساء» او اية اغنية اخرى ... فترددت ورفضت قائلة .

ـ دعني انصت للموسيقى ، فحتى من بعيد ، يمكن الاستمتاع بعذوبة العزف .

لم يكرر طلبه مرة اخرى ، بل احتفظ بهدوئه وسيطر على ارتجاف جسمه ...

تفرقت شموس صغيرة ملونة وانطلقت في الليل في الوقت الذي انشغل فيه ألن بمقارنتها سرا مع روعة اخلامه المفضلة . فردد

مع نفسه : «لقد اهملت احلامي كثيرا .. وهناك .. توهج في السماء لون اصفر ووردي انبثق عن اوسمة قرمزية تفجرت بشكل او شحة من الضياء الفضي الساطع ... فعلت من الشرفات هتافات الاطفال تحيي الانوار التي مكنت ألن من رؤية زوجته الشاردة الذهن ....

وما ان عادت الظلمة تسود اجواء الليل ، حتى قرر ألن الكف عن التردد ، فمد ذراعه العارية تحت ذراع كاميل العاري وقال لها بصوت منخفض :

- جسمك بارد ... هل تشتكين من شيء ؟

بكت بصوت منخفض وبسرعة ، حتى ظن ألن انها كانت تمثل حالة البكاء . وقالت :

- كلا ، انت .. انت الذي .. الذي لاتحبني .

استند الى الجدار ، وأمسك بكاميل من خصرها ، فشعر بأرتجافها وبرودة جسمها من كتفيها حتى ركبتيها العاريتين فوق جواريب مبرومة . كانت تلتصق به على نحو حميمي فأجابها :

- آه ، آه ! لا احبك . حسن ، انها حالة غيره اخرى بسبب ساها ؟

احس بتقلص جسمها الذي يحتضنه وتوتر عضلاته ، فأنتهز هذه الفرصة المناسبة ليعاود تأنيبها قائلا+:

- بدلا من ان تربي مثل هذا الجيوان الجميل ... لكنني اتساءل ..هل اننا الزوجان الوحيدان اللذان يربيان قطة او كلبا ؟ هل تريدين ان اشتري لك ببغاء او قردا امريكيا صغيرا ، او زوجا من الحمام ، او كلبا لكي تثيري غيرتي ؟

حركت كتفيها ، واطلقت من فمها المغلق صوت احتجاج حزينا ، وكان ألن يراقب صووتها ، فتشجع وردد مع

نفسه : «هيا ، هيا ، اضيفي ماعندك لافهم شيئا ما ... فانت ياكاميل كالجرة اللتي ينبغي علي قلبها لاجل افراغها ... هيا .. قولي ماعندك ...» .

- هل تريدين اسدا صغيرا ، او تمساحا لايتجاوز عمره الخمسين عاما ؟ كلا ؟ اذن ، هيا ، فمن الافضل لك تبني ساها .. لكي تتخلصي مما يعتمل في صدرك ... انتزعت كاميل نفسها من ذراعيه . وصاحت قائلة+:

- كلا ، ابدا ! هل تسمعني ؟ لن افعل ذلك ابدا ! ثم اطلقت حسرة خوف وكررت القول بصوت منخفض .

- آه ! كلا !...

«حسنا» ، قال ألن ذلك مع نفسه ، ثم دفع كاميل الى الغرفة ، واسدل الستارة الخارجية ، ثم اشعل المصباح السقفي واغلق النافذة وابتدأ النقاش قائلا :

- اذن ؟ الرواية نفسها ، اما انت او القطة ؟

اجابته بحركة موجزة من رأسها ، ففهم ألن ضرورة التخلي عن نبرة المزاح . واضاف بعد فترة صمت وجيزة :

- ماذا تريدين ان اقول لك ؟ الشيء الوحيد الذي لاأريد ان اقوله لك ؟ فأنت تعلمين جيدا انني لم اتخلى عن هذه القطة ، لانني سأخجل من تصرفي امام نفسي ، وامامها .

- اعلم ، قالت كاميل .

- ...وامامك ... اكمل ألن .

- واه ! انا .. قالت كاميل وهي ترفع يدها .

- وانت ايضا ، قال ألن بجفاف . واكمل : وبالاختصار فأنك توجهين لومك لي فقط ؟ ولاتمتلكين ماتلومين عليه ساها سوى الحنان الذي تكنه لي ؟

اجابته بنظرة قلقة مشوبة بالتردد فسألها :

- ولكن اخبريني .. ماذا في جعبتك بعد ؟
اخبريني ، لو كانت قطة اخرى غير ساها ! فهل سيكون تزمتك تجاهها اقل مما هو عليه الان ؟
- اجل بالطبع ، لانك لن تحبها كما تحب ساها . اجابته كاميل بسرعة .
- بالضبط ، اجابها ألن بصدق .
- وحتى لو كانت امرأة ، فأنك لن تحبها بالتأكيد بهذا الشكل ، اكملت كاميل بحماس .
- صحيح ، اجابها ألن .
- لانك لست كالاسخاص الذين يحبون الحيوانات ، فباتريك يحب الحيوانات هو الاخر ... ويمسك الكلاب الكبيرة من الرقبة ، ويدحرجها ، ويقلد القطط وتغريد الطيور ..
- اجل ، وذلك امر لاينم عن صعوبة تذكر ، اجابها ألن .
- لكنك شيء اخر ، فأنت تحب ساها ...
- لم اخف عنك ذلك ، ولم اكذب عليك عندما اخبرتك يوما ما ان ساها ليست غريمتك ...
- بل غريمتي وغريمتي ، قالت كاميل بتهكم .
وفجأة امتقع وجهها ، وتوجهت بغضب صوب ألن وصاحت :
- لقد رأيتكما ، انتما الاثنين صبيحة احد الايام التي كنت ترقد فيها فوق الاريكة .. وقبل شروق الشمس ، رأيتكما ...
ثم مدت ذراعا مرتجفة صوب الشرفة .
- جالسين ، انتما الاثنين .. ولم تسمعاني ! كان خداكما ملتصقين ببعضهما ...
وتوجهت حتى النافذة ، ثم استنشقت نفسا طويلا ، وعادت نحو ألن واكملت قائلة :

انه انت الذي ينبغي عليك ان تكون اكثر صدقا وتخبرني فيما لو كنت مخطئة بحق هذه القطة ، ومخطئة حين اتألم منها .

احتفظ بصمته فترة طويلة ، لكنها عاودت الكلام بعصبية قائلة :

ـ ولكن تكلم ! قل شيئا ما ! علق على حديثنا واكمله .. فماذا تنتظر ؟

ـ البقية ، قال ألن . بقية كلامك .

نهض بهدوء ، وانحنى باتجاه زوجته ، وخفض صوته وهو يشير الى الشباك :

ـ انت ، اليس كذلك ؟ انت التي رميتها ؟

وضعت السرير بينها وبينه ، بيد انها لم تنف ادعاءه فنظر اليها وهي تبتعد عنه ، وابتسم ، ثم اضاف :

ـ لقد رميتها . سألها ذلك بتفكير . لقد احسست جيدا انك غيرت كل شيء بيننا .. لقد رميتها . وتكسرت مخالبها وهي تتشبث بالجدار ...

خفض رأسه وهو يتخيل جريمتها ثم اردف قائلا :

ـ ولكن ، كيف رميتها ؟ هل امسكت ببشرة رقبتها ؟... او انتهزت فرصة غفوتها فوق حاجز الشرفة ؟ هل خططت لجريمتك هذه منذ مدة ؟ ألم تشعري بالاحباط قبل ....

رفع جبهته ، وتطلع ليدي وذراعي كاميل ثم اضاف :

ـ كلا ، لاتوجد ثمة اثار لجريمتك . لقد كانت ساها رائعة وهي تؤكد ادانتك عندما اجبرتك على لمسها .

ادار نظراته عن كاميل ، وتطلع الى الليل والنجوم ، وقمم اشجار الحور الثلاثة التي تضيؤها مصابيح الغرفة ... وقال لها ببساطة .

- حسنا ، سأذهب . .
- اوه ! اسمع .. اسمع .. توسلت به كاميل بجنون وبصوت منخفض . ومع ذلك ، تركته يخرج من الغرفة .. ففتح خزانات الجدار ، وتحدث مع القطة في الحمام ، فأسرعت كاميل بحركة لاارادية ، لترتدي حذاءها ، ثم نظرت الى الساعة .

عاد ألن حاملا ساها في سلة مستديرة كانت السيدة بوك تستخدمها في التسوق ، وغير ثيابه ، ووضع وشاحا فوق رقبته ... اما كاميل ، فكانت تنصت لحركة ساها في السلة وتضغط على شفتيها ...

- سأذهب ، كرر ألن قوله ، وخفض عينيه ، ورفع السلة قليلا ، ثم صحح كلامه بشيء من التحفظ القاسي .
- سنذهب

وثبت الغطاء الصفصافي وهو يقول :

- لم اعثر الا على هذه في المطبخ .
- ستذهب الى اهلك ؟ سألته كاميل وهي تجتهد نفسها للاحتفاظ بالهدوء مثل زوجها .
- بالطبع . بالتأكيد
- ولكن هل .. هل بأمكاني رؤيتك في الايام المقبلة ؟
- بلا بالتأكيد .

كادت تحتج وتبكي وتدافع عن نففسها بكل قوتها .

- وانت ، هل ستبقين وحيدة هنا هذه الليلة ؟ ألن تشعري بالخوف ؟ لو طلبت مني البقاء ، فسأفعل ، ولكن .. ادار رأسه صوب الشرفة واضا :
- ...صراحة اقول ، انني لا احتمل .. ولكن ، ماذا ستقولين لاهلك ؟

شعرت كاميل بالاهانة ، فنهضت واجابته :
- ليس ثمة ما اقوله لهم . وماحدث هو شيء يعنيني لوحدي ، ثم انني اعتقد ... انني لا اغرب في سماع النصائح العائلية .
- معك الحق . مؤقتا
- ويمكننا ابتداءا من الغد اتخاذ القرار ...
رفع يده الخالية استعدادا لمواجهة التهديد المستقبلي هذا ... وقال :-
- كلا ، وليس في الغد . اليوم ، فلاغد بعد اليوم .
استدار مع وصوله عتبة الغرفة واضاف :
- تركت في الحمام مفتاحي والنقود التي نمتلكها هنا ..
قاطعته بلهجة ساخرة قائلة
- ولم لاتترك صندوقا من الاغذية المعلبة وبوصلة ؟
تظاهرت بالشجاعة ، ووضعت احدى يديها فوق وركها فيما ثبتت رأسها فوق رقبته الجميلة ، ففكر ألن مع نفسه : انها تحاول معالجة امر خروجي» ..
ورغب مبادلتها لطفها ، بيد انه عدل عن رأيه اخيرا ، واكتفى بالايماء والقاء تحية عابرة عليها .
كانت تحتفظ بتوازنها المصطنع بيد ان ألن ، وقبل خروجه ، تمكن من رؤية الهالات الزرق تحت عينيها ، والرطوبة التي تغطي صدغيها ورقبتها الخالية من التجاعيد .
عبر الشارع حاملا مفتاح باب الكراج بيده ، بيد انه فكر مع نفسه : «لا اقدر على قيادة المركبة ، فعاد ادراجه متوجها الى الحي البعيد الذي تتسارع فيه مركبات الاجرة . وكانت ساها انذاك تشعر بالانزعاج ، وتموء الا انه اثار في نفسها

الاطمئنان بالتحدث معها .. ثم عاود التفكير : «بالرغم من ان المركبة ستكون اكثر اثارة للراحة لي ، وان حي نيبي لايمكنني بلوغه بسهولة في الليل ، فانني لا أقدر على قيادة المركبة الان» .

وشعر بالدهشة لاستغراقه في التوتر بالرغم من وحدته وسيره في الليل ، واخيرا قابل سيارة اجرة ضالة ، ووجد ان الدقائق الخمس التي استغرقها طريقه طويلة كان يرتجف في الليل الدافىء تحت قنديل الغاز بأنتظار انفتاح الحاجز المشبك . فيما انطلقت ساها في موائها المتقطع لمجرد استنشاقها هواء الحديقة الذي كانت عطور النباتات المزهرة تفوح منها . فكرر ألن ضغطه على الجرس ، واخيرا ، اضيء نور في الكراج ، وسمع ألن وقع اقدام العجوز اميل فوق الحصى .

ـ انت السيد ألن ؟ قال ذلك اميل وهو يبالغ في ترجيف نبرات صوته واضاف : أأمل ان تكون صحة زوجة السيد ألن الشابة على مايرام ! فجو الصيف يثير التوعكات ... لكنني ارى السيد ألن يحمل حقيبة !

ـ كلا ، انها ساها . دعها لاحملها ولاتشعل المصابيح ، فالضوء يمكن انم يوقظ السيدة .. واكتفي فقط بفتح الباب باب الصالون الرئيسي ، وعد ادراجك لتنام .

ـ ان السيدة هي التي ايقظتني اثر استغراقي في نوم عميق ....

كان ألن يحث خَطاه ليتفادى سماع ثرثرة العجوز اميل . وصوت ترنح ساقيه اللذين يتبعانه ، فسار فوق الثيل متفاديا منعطفات الممرات المبلطة بالرغم من ظلمة الليل ، وخفة حدة ضوء القمر . وكانت الشجرة الميتة المنتصبة

وسط الحديقة ، تبدو له وكأنها رجل ضخم يقف واضعا معطفه فوق ذراعه ، فتوقف ألن لبرهة ، وانحنى ، ثم تلمس السلة وفتحها ، واخرج القطة قائلا :

ـ ساها . انها حديقتنا ...

شعر بها وهي تقفز خارج السلة فتركها وشأنها لتنعم بالليل ، والحرية والارض الاسفنجية الناعمة ، والحشرات والطيور الغافية ..

من خلف شبابيك الطابق الارضي ، كان احد المصابيح ينتظر ، فأحس ألن بالأكتئاب وفكر : «هل اتحدث لوالدتي وأبوح لها بما يعتمل في صدري ؟ ولكن ، عم اتحدث ؟ انه امر تكتنفه البساطة والتعقيد في آن واحد ...» . لم يكن يحلم بأكثر من الهدوء ورؤية غرفته بجدرانها المغلفة بالورق الملون ، وسريره ثم استعادة دموعه الملتهبة ، ونحيبه الاجش الشبيه بالسعال ـ ادخل ياعزيزي ، هيا ادخل ...

لم يكن قد تردد على غرفة والدته كثيرا ، فأشمـزازه الاناني من القارورات وعلب المواد الطبية الطبيعية يعود عهده لمرحلة طفولته ، بيد انه لم يقدر على الصمود امام رؤية السرير الضيق الخاص بالمرأة ذات الشعر الابيض المجعد التي كانت تنهض متكأة على معصميها .

ـ تعلمين يأامي ، ان الامور تسير بشكلها الطبيعي ... قال تلك الجملة التافهة ، وابتسم بشكل خال من المعنى . فكان تعبه الواضح يدفعه للكذب المكشوف .. ثم جلس قرب رأس سرير والدته ، وحل عقدة وشاحه وقال :

ـ ارجو المعذرة يأامي على هنادمي هذا ، ووصولي في وقت غير مناسب دون سابق انذار .

ـ لابأس ، قالت ذلك ، والقت نظره على حدائيه المغطين

بالتراب .
- حذاءاك متسخان كالشحاذين ...
- لقد جئت من الشقة ياأمي سيرا على الاقدام بعد ان عجزت عن الحصول على مركبة اجرة ، وكنت احمل ساها ...
- آه ، هل اصطحبت القطة معك ؟ سألته ...
- اوه ! بالطبع .. ولكن ، لو كنت تعلمين ... وهناك توقف وادرك اهمية الكتمان وفكر : «ان ماحدث لايمكن قصه على الوالدين» .
- ان كاميل لاتحب ساها كثيرا ياأمي .
- اعلم ذلك ، اجابته السيدة امبراة .
جاهدت نفسها لتبتسم ، وحركت شعرها المجعد واضافت :
- اهو امر خطر !
- اجل ، بالنسبة لكاميل ، اجابها ألن . ثم نهض ، وسار بين قطع الاثاث البيضاء اللون واضاف :
- تعلمين ياأمي ، انني لم اتشاجر بصوت عال ، ولم تسفر مناقشاتنا عن كسر الاطباق او تحطيم الاثاث او تدخل الجيران .. فكل مافي الامر ، انني اشعر بحاجة ماسة للوحدة والراحة ، ولااكتمك سرا ، انني لم اعد اطيق شيئا .
قال ذلك ثم جلس على السرير - كلا ، انك لاتكتم عني شيئا ، اجابته والدته ، ثم وضعت يدها فوق جبينه ، وعكست نحو الضياء ، وجهه اليافع الذي تنمو فوقه اللحية ، فماكان منه الا ان ادار عينيه عنها ، وخفف من حاجته لذرف الدموع الغزيرة التي منى نفسه بها . وسألها

ـ اذا لم تكن ثمة شراشف فوق سريري القديم ، فسأغطي نفسي بأي شيء كان يامي .
ـ كلا ، فسريرك مجهز بأغطية كافية .. وماكادت السيدة امباراة تنهي كلامها ، حتى احتضنها ألن ، وقبلها من عينيها وعلى خديها وشعرها ، ودس انفه في رقبتها وتمتم قائلا : «تصبحين على خير» ، ثم خرج من الغرفة وهو يستنشق الهواء بعمق .

جلس في الرواق ، وابى ارتقاء درجات السلم المؤدي الى الطابق العلوي ، لان ساها كانت تناديه .. فمكث في الظلام فوق احدى الدرجات المؤدية الى الحديقة .. ومد يده لتلتقي بشعر ساها وشاربيها المستقيمين ومنخريها الحمراوين .

كانت تستدير في مكانها ، فبدت له صغيرة وخفيفة الوزن كالهريرة ، وشعر انها بحاجة للاكل مثله . فقال لها :
ـ سنتناول طعام الافطار بعد ساعات قليلة ، لان الفجر اوشك على البزوغ ...

كانت تستنشق عبير الزهور ، فتأملها مليا ، وقدر انها ربما لن تعيش اكثر من عشر سنين قادمة ، فأحس بالالم وهو يفكر بقصر مدى حب كبير كهذا وقال لها :
ـ بعدك ، سأكون بالتأكيد لكل من يرغب فيّ ، سأكون لامرأة .. لنساء .. لكنني لن اكون متعلقا بقطة اخرى ابدا ... ثم حمل القطة ، ودخل غرفته مترنحا ، وهو يشعر بالنعاس فألقى ثيابه ، واستلقى على السرير لينعم بطراوة الشراشق ، ومد ذراعه ، للتتكور عليه ساها بصمت ، ثم استغرق لقد نام محموما ، محاصرا بالاحلام . ولمرتين او ثلاث اعتقد انه قد فاق من نومه واحاط وعيا بالمكان الذي كان ينام فيه . ولكنه كان يهتدي في كل مرة الى غرفة نومه بواسطة ذلك الاحساس القاسي الذي كان

يرى نفسه فيه محاصرا من قبل عيون مجنحة .

وقال في نفسه :

ـ ها ! اني انام .. انام .

ـ انام .. كرر ذلك بصوت يشبه صلصلة الحصى .

ـ انني انام .

هكذا كان يهتف ، وهو يستشعر قدمين تتحسسان باب غرفته .

ويبتعد القدمان ، فيما النائم يتهلل في حلمه .. ذلك الحلم الذي مات تحت ضغط الحاح التوسلات المتكررة في النوم المريح قبل ان توقظه قفزة ، وتنبهه الى بزوغ الفجر وحركة الاشجار وبدء حركة القطارات الارضية البعيدة وردد مع نفسه : «ماذا دهاني ؟ كنت ارغب ... آه ! اجل كنت اغرب بالبكاء ..» ثم اتسم ، وعاود الغوص في نوم عميق .

استيقظ والشمس التي كان قد تركها في شهر مايس تطل على حافة النافذة غدت شمس شهر آب ، لانها لم تتجاوز جذع شجرة الزنبق التي تشمخ امام المنزل .

فنهض ، وبحث عن ثياب له ، فوجد بيجاما قصيرة بردنين ضيقين ورداء حمام بلا لون ، فأرتداها بفرح .

كاد يتوجه صوب النافذة ، بيد ان بصره استقر فجأة على صورة كاميل التي تركها من قبل قرب سريره . فتفحصها بفضول وفكر : «انها تشبهها اكثر مما كنت اتصوره ، ولكن ، كيف أني لم افطن لذلك قبل اربعة اشهر» .

كان النسيم يداعب الاشجار ، ويزيد من حفيفها ، فشعر آلن بألم جوع في معدته وفكر مع نفسه : «كم هي مريحة فترة النقاهة ...» وهناك ، سمع صوت انفتاح باب غرفته ، فدخلت الخادم ذات اللحية ، حاملة بيدها صينية الطعام .

ـ لكنني كنت اتمنى تناول افطاري في الحديقة ياجوليت !
ابتسمت وقالت : كنت اظن .. ولكن ، هل ترغب سيدي ان احمل معي الصينية الى الحديقة ؟
ـ كلا ، كلا ، اشعر بالجوع القارص . دعيها هنا ، وستأتي ساها من النافذة .

نادى القطة التي انبثقت من مخبأ غير مرئي ، وكأنها ولدت بندائه ، وانطلقت راكضة عبر طريق مستقيم مليء بالنباتات المتسلقة ، ثم قفزت وسقطت نحو ألن ناسية مخالبها المهشمة .
ـ انتظري ، سآتي .

حملها بين ذراعيه ، وشرعا يلتهمان الطعام . كانت ساها تملأ جوفها الجائع بالحليب والبسكويت ، فيما كان ألن يلتهم الفطائر ويرتشف القهوة الساخنة .

كانت ساها تبدو متألقة وقد اكتسبت وزنا يزيد عما كانت عليه بالامس ، وكانت ترمق الحديقة بعينين مستبدتين تشعان فرحا .
ـ كم هو امر بسيط ياساها بالنسبة لك على الاقل .. دخل العجوز اميل ، وطلب حذائي ألن وسأل قائلا :ـ
ـ ان شريطي حذائيك مستهلكان ياسيد ألن الا تمتلك غيرهما ؟ ولكن ، لايهم فسأبدلهما بآخرين مني ، قال اميل ذلك متشكيا .

«انه عيدي بكل تأكيد» فكر ألن ثم استذكر المتاعب التي كان يعتبرها بالامس امورا مألوفة ، كالاستحمام والذهاب الى مكاتب امباراة ، ثم العودة لتناول الغذاء مع كاميل ..
ـ ولكن ، ماذا سأرتدي !

تأمل موس الحلاقة الذي صدىء ، وقالب الصابون الوردي وفرشاة الاسنان الموضوعة في الحمام ، واستخدمها بنفس

الفرح الذي يمكن ان يشعر به الغريق . وتوجب عليه النزول بالبيجاما القصيرة ، بعد ان كانت الخادمة قد حملت معها ثيابه .

ـ تعالي ، ساها ، ساها ...

كانت ساها تسير امامه ، فركض شمالا مرتديا الصندل الضيق المصنوع من سعف النخيل المظفور ، وتأملا سوية النباتات والزهور والعشب الاخضر . وكانت ساها تتذوق احدى النباتات ، وتنصت للاصوات ، وتفرك وجهها بالاغصان الصغيرة المهشمة ، ثم تسير بهدوء وكبرياء تحت اكليل الشمس الفضي الذي يحيطها من الجوانب كافة . فتأملها ألن وفكر : «لقد تعرضت للرمي من الطابق التاسع . ولكن ، هل تم دفعها او مسكها .. ربما دافعت عن نفسها ، وهربت ، لكنها اخفقت ، ليتم مسكها ورميها واغتيالها ...

وهناك ، اثار دهشته صوت رنين الهاتف من داخل المنزل ، ففكر : «هل اشعر بالخوف ؟ فكاميلا ليست بهذه الدرجة من الغباء لتتصل بي هاتفيا ، علما انها تستخدم هذه الالة برصانة وتختلف بذلك عن بقية النساء» ..

بيد انه عجز عن حبس نفسه من الركض ، تاركا خلفه الصندل ، فتعثر اثر ذلك بالحصى المدور وصاح :

ـ ماما ! من الذي اتصل هاتفيا ؟

بزز الرداء الابيض السميك من فوق درجات السلم ، فأحس ألن بالخجل من مناداتها ، وقال لها :

كم احب رداءك الابيض ، يا أمي ، فأنت لم تغيريه بآخر ابدا .

ـ اشكرك يابني على هذا الاعجاب بالروب . اجابته السيدة امباراة . ولبثت صامتة للحظة ، ثم عاودت اجابتها :

- انه السيد فيليه ، فالساعة الان تشير الى التاسعة والنصف صباحا ، ألم تعرف بعد عادات المنزل ؟ ثم مشطت شعره بأصابعها ، وزررت بجامته الضيقة وقالت له :
- ماانت ذا جميل جدا ، ولكن ، هل ستبقى بهذا الشكل ؟
- بالطبع لا ، وسأرتدي ملابسي بعد قليل .
- اين ستكون هذا المساء ؟
- هنا - صاح بذلك والدموع تترقرق في عينيه .
- ياالهي ! اي طفل انت ! قالت ذلك السيدة امباراة .
- هذا ممكن ياأمي . واتمنى ان افهم قليلا ماينبغي علي فعله لاتمكن من الخروج من هذه الطفولة ...
- بأية وسيلة ؟ بالطلاق ؟ انه منفذ يجلب لك المشاكل .
- لكنه يضمن لي الراحة ، تجرأ واجابها بقسوة .
- ولكن ، ألم تفكر ان الافتراق المؤقت او اخذك قسطا من الراحة بالسفر ، من شأنه تقديم نتائج ايجابية للغاية ؟ رفع ذراعيه معلنا عن سخطه .
- لكنك ياأمي لاتعلمين ... ثم انك بعيدة كل البعد عن تخيل .. كاد يروي لها تفاصيل جريمة كاميل بيد انها قاطعته قائلة .
- حسنا ، دعني بعيدة كما قلت ! فهذه الامور لاتعنيني ، وحاول الاحتفاظ بالاسرار . اجابته السيدة امباراة بسرعة .
- والان ياأمي ، اود ان اشير لك الى جانب مهم يثير يضيقي ، واعني وجهة نظر العائلة التي ترتبط بالناحية التجارية ... فعائلة مالمير ستعتبر طلاقي بلا مبرر مهما تكن المسؤولية الملقاة على كاميل ... لان زواجنا لم يلبث اكثر من ثلاثة شهور ونصف .. وانا انطلق بتفكيري من هذه المسألة .
- ماذا تعني من الناحية التجارية ؟ فأنت لاتمتلك شركة تجارية مع انبة مالمير ، ثم انه ليس بالضرورة ان يكون الزوجان

مشاركين فيها .
- اعلم ذلك جيدا ياامي ! لكنني اواجه الامور بفكري بطريقة مختلفة ، فستكون المرحلة القادمة صعبة سيما عندما يتم فيها انهاء الاجراءات والمقابلات و ... فالطلاق ليس بتلك السهولة التي تتخيلها ...

كانت تنصت لابنها بأهتمام ، يحدوها يقين ، ان الكثير من الامور تثمر عن مشاكل غير متوقعة ، وان الانسان مجبر خلال مسيرة حياته ، وعن طريق الصدفة على ارتكاب الاخطاء والتعرض للفشل .
- ليس من السهولة التخلي عمن كنت ترغب الارتباط به طوال العمر ، فبالرغم من زيادة وزن كاميل بعض الشيء ، وغرابة بعض تصرفاتها ، فأنه لاينبغي اصدار الحكم عليها بتلك القسوة ، وهذا هو رأيي وطريقة تفكيري الخاص ، ثم انني لم افرضها عليك ، وقد استغرقنا في التفكير طويلا ...
- لقد اطلت التفكير بذلك ، قال ألن ذلك بمجاملة فظة بعض الشيء واضاف : ثم انني ارغب في الوقت الحاضر الاحتفاظ ببعض الاحداث ....

وفجأة ، علت قسمات وجهه ضحكة طفولية ، اذ رأى ساها تقف على قائميها الخلفيين ، فيما استناد قائماها الاماميان فوق مرشة ماء ، وراحت تصطاد النمل الغارق فيها .
- انظري الى القطة ياماما ! اليست رائعة ؟
- اجل ، انها حيوانك الخيالي الرائع ، اجابته السيدة امبارة بتنهد .

فقبلها من يدها الهرمة ، ذات الشرايين المتينة والبقع . بيد انه اسرع بالنهوض حال سماعه جرس الباب . فقالت له والدته :

ـ اختبىء ، فقد حان وقت قدوم الموردين ، واسرع لتغير ثيابك .. فهل تريد ان يراك ابن الجزار بزيك المضحك هذا ؟

بيد ان الاثنين كانا يعلمان بأن بان الجزار لايستخدم الجرس الخاص بالضيوف . فأسرعت السيدة إمباراة وارتقت درجات السلم الخاص بالحديقة ، رافعة بيديها رداءها الابيض اما ألن ، فكان يتطلع من خلف الاشجار ، للخادم جوليت وهي تركض ، ويستمع لصوت انزلاق حذائها فوق الحصى فقطاعها في الطريق وسألها :

ـ هل فتحت الباب ؟

ـ اجل ياسيد ألن ، فزوجتك الشابة قادمة .

رفع صوب السماء ، عينا يتملكها الذعر ورفع كتفيه كأنما كان يتعرض لوابل من البرد ، ثم توارى .

كانت كاميل قد لمحته ، فتوجهت نحوه واعتقد اول الامر انها قدمت لتناول طعام الفطور معه . كانت تبدو رائعة الجمال ، بماكياجها الهادىء واهدابها السود ، واسنانها المتلألئة بيد ان مسحة التردد وفقدان الثقة والحزن غزت معالم وجهها حال اقتراب ألن منها .

ـ اعذريني ، فأنني ابدو كمراهق يعاني من ازمة .. ولكننا لم نتفق على اللقاء هذا الصباح ؟

ـ كلا ، لم نتفق ، لكنني حملت معي حقيبتك الكبيرة ، وملئتها بحاجاتك ...

ـ ولم تتعبين نفسك ! كنت انوي ارسال اميل لجلبها لي هذا اليوم ...

ـ لأتحدث لك عن اميل ... فعندما رغبت تسليمه الحقيبة هرب من امامي وكأنني مصابة بالطاعون ، فتركتها هناك قرب الباب ....

- انني آسف ، فأنت تعرفين اميل وتصرفاته ... اسمعي لنذهب خلف تلك الاشجار الصغيرة ، لننعم بهدوء اكثر مما نكون عليه داخل المنزل .

كانت تلك الاشجار هي المكان الذي يخفون فيه من قبل قيلاتهم السرية .

- انتظري لارفع الاغصان الصغيرة التي يمكن ان تؤثر على بدلتك .

- انها جديدة ، قالت له كاميل بنبرة مفعمة بالاسى العميق ، وكأنها كانت تقول : «انها ميتة » .

ثم جلست قربه وهي تتطلع حولها ، فتذكر كلماتها السابقة التي كانت ترددها : «لايمكنك تصور احساسي بالخجل الذي تثيره في نفسي حديقتكم الجميلة ... فعندما اكون فيها ، يتملكني شعور فتاة قروية صغيرة تأتي الى قصر فخم لتلعب في فنائه .. على الرغم من انه ...»

لقد كانت كلماتها الاخيرة تفسد كلامها ، وتعكس رخاء عائلة مالمير اصحاب المعاصر .

ثم لاحظ ان كاميل ترتدي القفاز ففكر مع نفسه وهو ينصت لتسارع دقات قلبه :«انه تصرف احتراسي منها بيد انه لم يكن في صالحها ... فبدون هذه القفازات ربما لن افكر بيديها ، وربما ارتكبت بهما جريمة حمقاء ...» لقد فكرت بذلك مايكفي » :

- اذن ، ماذا قررت ؟ ربما لم تفكر بعد ... سألته كاميل بنبرة مشوبة بالحزن ...

- بلى ، اجابها ألن .

- صحيح !

- اجل ، لااستطيع العودة .

- افهم جيدا انك لاتستطيع العودة اليوم ...

- لااريد العودة .
- اطلاقا ؟... للابد ؟

حرك كتفيه : وقال

- ماذا يعني ابدا ؟ لا اريد العودة . ليس الان . انني لااريد العودة ابدا .

كانت تراقبه بعينيها في محاولة منها لاكتشاف حقيقية . ثم تطلعت من بعيد لواجهة المنزل المنتصب امامها ، ولاثار اعمال البناء كالشباك الجديد والجدران المطلية حديثا ، وبادرت بالقول .

- ولكن ، افترض لو انني لم اتفوه بشيء عما حدث بالامس وانك لم تعلم شيئا ؟
- فكرة جيدة تطلقها امرأة مثلك ، وتشرفك . اجابها بسخرية
- اوه ! انها ليست المرة الاولى التي تعتمد فيها سعادة زوجين على شيء مخجل او لايمكن الاعتراف به .. لكنني فكرت انني من خلال اخفائي الحادث ، اكون قد اقترفت خطأ بسيطا مقابل تحقيق نجاح كبير يرتبط بسعادتنا الزوجية .. ولكن كيف يمكنني افهامك ذلك بأسلوب آخر ؟

كانت تبحث عن كلمة وتوميء بها من خلال ضم يديها ببعضهما ، ففكر ألن : «انها مخطئة عندما تفكر بضم يديها اللتين ارتكبتا جريمة حمقاء ...» .

- ولكنك لاتحبني ، اليس كذلك ؟ سألته كاميل ..

كان يحتفظ بصمته ، بيد ان كاميل كانت تؤكد سؤالها بصوت امرأة تجهل كل شيء .

- قل ، ايها المكروه ، قل !
- ولكن ، ياالهي ، انه ليس بالامر الهام في موضوعنا ! فما يثير

في نفسي السعادة ، هو تعرفي على مايعتمل في صدرك من احساس بالذنب على مااقترفته ، وفيما لو كنت لاتطيقين استعادة الاحداث الرهيبة تلك ، وتشعرين بالوهن منها ... وبالندم ، ولكن ماذا قلت الندم !

هل تعرفينه ؟

ثم نهض بعصبية ، واستدار حول الشجيرات القصيرة وهو يمسح جبهته بردنه .

ـ آه ! قالت كاميل بندم ولهجة متصنعة واضافت ، انني نادمة بالفعل ، وتمنيت الف مرة لو لم اكن قد فعلت ذلك .. كنت قد فقدت صوابي ...

ـ انت كاذبة ! هتف بذلك وهو يحاول خفض صوته . ولن تأسفي على شيء قدر اسفك على اخفاق محاولتك ! ولو كنت نادمة ، لتمكنت من فهم ذلك والاحساس به من تعابير وجهك وثيابك ، لكنك قدمت الان بيدلتك الجديدة وقبعتك المائلة نحو الجانب وقفازيك ومحاولة اغرائي بالعودة ! ...

كان يصيح بصوت خشن ومنخفض ، وكان عاجزا عن الاحتفاظ ببرود اعصابه ، بيد ان قماش بجامته مستهلك تمزق عند المرفق ، فسحب بيده الردن كلها ورماه في الحديقة ثم وضع يديه فوق عينيه ، وجاهد للتكلم بصوت اقل حدة من السابق .

ـ مخلوقة صغيرة لاحول لها ولاقوة ، زرقاء اللون كأحلى الاحلام ، روح صغيرة .. وفية .. قادرة على الموت بسلام لو لم تستطع تحقيق ماتحتاج اليه ... لقد امسكت بها بيديك الاثنتين ، ثم فتحتهما ، وقذفت بها في الفراغ .. انك وحش .. ولا ارغب العيش مع وحش ...

تحسس وجهه الرطب ، واقترب من كاميل وهو يبحث عن كلمات اخرى تدينها . اما كاميل ، فكانت انفاسها تتسارع ،

وعيناها تتطلعان الى ذراعه العاري ووجهه المحتقن ، فقالت له بسخط :
ـ حيوانة ؟ هل تضحي بي من اجل حيوانة ؟ انني زوجتك رغم كل شيء ! اتتركني من اجل حيوانة ؟
ـ حيوانة ؟ .. اجل ، حيوانة ...
غزت وجهه تعابير الهدوء الظاهرية ، وتوارى خلف ابتسامة غامضة مستفهمة ، وفكر مع نفسه : «انني اقبل الاقتناع ان ساها حيوانة .. ولكن لو كانت كذلك حقا ، فما الذي تتميز به عن هذه الحيوانة الماثلة امامي ، وكيف يمكنني افهام ذلك لكاميل ؟ انها تثير ضحكي ، هذه المجرمة الساخطة الفاضلة التي تدعي معرفة معنى كلمة حيوانة .....»
ولم يسخر منها ألن اكثر من ذلك ، لان صوت كاميل وصل اسماعه .
ـ انت الوحش
ـ ماذا .
ـ اجل ، انت الوحش ، ولسوء الحظ ، لايمكنني تفسير سبب ذلك ، بيد انني متيقنة من صحة كلامي ... لقد رغبت حذف ساها من الوجود ، وذلك امر غير مستحب ... ولكنه امر طبيعي ان ترغب امرأة غيورة في قتل مايثير ضيقها او ألمها ... اما ماهو شاذ ووحشي ، فهو انت .. انت ...
وكاثبات لكلامها ، اشارت الى ردنه المخلوعة وفمه المرتجف الذي تلفظ كلمات جارحة ، وخده الذي لم يصله الدم وخصلات شعره المبعثرة ... بيد ان ألن لم ينبس ببنت شفة ، وابى الدفاع عن نفسه ، وكان يبدو تائها وسط تحريات لانهاية لها .
ـ لو كانت الغيرة قد دفعتني لقتل امرأة ، فربما ستغفر لي ، لكنني اخترت هذه القطة ، وهكذا ينبغي ان يكون حسابي اقل

قسوة .. وكل ذلك ، ولاترغب ان اصفك بالوحش ...
- هل رغبت في ذلك ؟ قاطعها بصوت عال .

فرفعت نحوه عينين يتملكها الذعر ، وادت حركة تدل على نفاذ صبر فيما كان ألن يتابع حركة يدها الكريهة الملغة بالقفاز .

- والان ، وللايام المقبلة ، ماذا سنفعل ... وماالذي سيحدث لنا ياألن ؟

كاد ينوح ، ويبوح بما يعتمل في صدره ويصبح بها : «سنفترق ، ونصمت ، وننام ، ونتنفس بعيدا عن بعضنا ! سأنسحب بعيدا ، بعيدا جدا ، تحت شجرة الكرز هذه مثلا ، واسفل جناحي هذا الطير الابيض الموشى بالسواد ، او داخل غرفتي الباردة ، مع الدولار الذهبي الصغير ، وحفنة من الذخائر القديمة ومع قطعة جميلة اسمها ساها ...» .

ثم احتفظ برباطة جأشه وهدوئه وقال :

- لم اعقد العزم على اتخاذ قراري ... فلايزال امامنا متسع من الوقت .

كان جهده الاخير الذي بذله في تحفيف حدة التوتر ، ونزعته للعيش الجماعي ، تنهك قواه ... فنهض لمرافقة كاميل حتى الباب الخارجي بيد انه تعثر اما كاميل فكانت تتقبل منه كلمات المصالحة الغامضة بنوع من الامل النهم ، فقالت له :

- اجل ، مايزال امامنا متسع من الوقت للتفكير ، وسنرى ذلك بعد حين ، ابقى هنا ، ولاتصحبيني الى الباب الخارجي ، كيلا يظن الاخرون اننا تشاجرنا لمجرد رؤيتهم ردنك المخلوعة .. اسمع ، ربما سأسافر لاسبح في بلومانش ، عند اخ باتريك وزوجته ... لانني لا افكر الان الا بالعيش وسط اهلي ...

- خذي معك العربة ، اقترح عليها ألن ذلك ، فأحمر وجهها ، وشكرته كثيرا .

ـ سأعيدها لك حال عودتي الى باريس ، فربما تحتاج اليها ، عند ذاك ، لاتتردد في طلبها مني ... علما انني سأعلمك بوقت مغادرتي وقدومي ...

«انها تدبر الامور الان ، ترمي خيوط الحبكة ، وتفتح امامي الطريق ، ثم تجمع ، وتخيط وتعيد نسج احداث حبكتها ... آه ، ذلك امر رهيب حقا . ولكن ، اهو ذلك الامر الذي اخذته امي عليها ؟ ربما تكون صفة جيدة فيها ، بيد انني لم اعد قادرا على فهمها او معاقبتها . كم تبدو على قسماتها الراحة وهي تؤدي الامور المتعذرة عليها ... وكم اود ان تذهب الان ، لو تذهب ...» .

كانت تستعد للذهاب ، فمدت يدها نحوه ، وتجرأت ولمسته عبثا بنهديها ...

بقي وحيدا ، فتوجه صوب الاريكة قرب المنضدة الابنوسية ، واسقط نفسه فوقها ، فأنبثقت ساها امامه بشكل رائع .

من خلال استدارة الممر ، وثغرة في اوراق الاشجار تمكنت كاميل من رؤية ساها وألن من بعيد ، فتوقفت ، وتأهبت لتعود ادراجها ، بيد انها لم تحرك الا للحظة ، ثم ابتعدت وعادت سريعا . ففي الوقت الذي كانت ساها تتبع فيه رحيل كاميل بشفقة وحزن ، كان ألن مستلقيا وشبه نائم ، يبعث براحة يده ، بشجرة الكستناء الخضراء المجعدة ...

رواية القطة

ليست ترجمة هذه الرواية الفرنسية الصغيرة بالأمر السهل ، لما اتصف به اسلوب كاتبتها الاديبة الفرنسية المعروفة كوليت من دقة وقدرة غريبة على نقل إحساس بطلها البرجوازي الباريسي « الن » نحو قطته الصغيرة « ساها » وخطيبته ثم زوجته الشابة « كاميل » بطريقة تتجاوز احيانا الأسلوب والبيان المعتاد للغة الفرنسية التي تشغل كوليت فيها منصب عضو الأكاديمية الفرنسية . فلغة هذه الرواية الجميلة حديثة تحاول ان تقول بين سطورها اكثر مما تقوله كلماتها ، وهي تجرب تحليل وإكتشاف ما في داخل الحيوان من « إنسانية » ، وما في داخل الأنسان ـ إنسان المدنية الحديثة من حيوانية وبربرية . وهو موضوع ربما استثار فضول الأوربي والفرنسي المولع بتربية الكلاب والقطط ولعا غريبا ، اكثر من فضول إنساننا الشرقي . ومع ذلك ، فان ما يكمن وراء فقرات هذه الرواية من روح إنساني وقدرة عجيبة على الدخول الى عوالم الشخصيات وما يحيط بحياتها من تفاصيل صغيرة ، سيجعل من قراءة هذه الرواية عملية ممتعة وشائقة لكل من مارسها .

د. ضياء خضير
١٢ / ٧ / ١٩٨٩

مطابع دار « الحرية » للصحافة والنشر بغداد ـ ١٩٨٩

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٤٨٩ لسنة ١٩٨٩

السعر : دينار ونصف